بن عبد مَنَاف بن قُصَي، وعثمانُ: ابن عُبَيْد الله أخو طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْد الله التَّيْميّ، وقُنْفذ: ابن عُمَير بن جُدْعان بن عَمْرو بن كَعْب بن سَعْد بن تَيْم بن مُرَّة، وَأَبُو الوَلِيدِ: عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وأبيٌّ: الأخنسُ بن شريق الثَّقَفي، حليف بني زهرة بن كلاب.

قال ابن هشام: وإنما سُمِّي الأخنسُ؛ لأنه خَنَس بالقوم يَوْمَ بَدْرٍ، وَإِنَّما اسمُه أُبَيٌّ، وَهُوَ مِنْ بَنِي عِلاج؛ وهو عِلاجُ بن أبي سَلَمة بن عَوْف بن عُقْبَة.

والأسود: ابن عَبْد يَغُوث بن وَهْب بن عَبْد مناف بن زُهْرة بن كلاب، وسُبَيْع: ابن خالد، أخو بَلْحارث بن فِهْر؛ ونَوْفَل: ابن خُوَيلد بن أسَد بن عبد الْعُزَّى بن قُصيٌّ، وهو ابن الْعَدَوِيَّة، وَكانَ مِنْ شَيَاطِين قُرَيْشٍ، وهو الذي قَرَنَ بين أبي بكر الصديقِ وَطَلْحَةَ بْنِ عبيد الله، رضي الله عنهما، في حَبْل حين أَسْلَمَا، فَبِذَلِكَ كانا يُسَمَّيَانِ القرينين، قَتَلَهُ عليُّ بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ يَوْمَ بَدْرٍ، وأبو عَمْرو: قُرظَة بن عَبْد عَمْرو بن نَوْفل بن عبد مناف، و«قوم علينا أظِنَّةٌ» بنو بكر بن عبد مَنَاةَ بن كنانة؛ فَهَؤُلاءِ الذين عَدَّد أبو طالب في شِعْرِهِ مِنَ العَرَب.

ذكر رسول الله ﷺ ينتشر في العرب وبين أهل المدينة

فلمَّا انْتَشَر أَمْرُ رسولِ اللهِ ـ ﷺ ـ في العَرَب، وبلغ الْبُلْدَان ذُكِرَ بالمدينة، ولم يَكُنْ حيٌّ (٥١/ب) مِنَ العَرَبِ أَعْلَمَ بأمرِ رَسُولِ اللهِ ـ ﷺ ـ حين ذكر، وقبل أن يذكر ـ مِنْ هذا الحيِّ مِنَ الأَوْسِ والخزرجِ، وذلك لما كانوا يَسْمَعُونَ مِنْ أَحْبَارِ اليهودِ، وكانوا لهم حُلَفَاء ومعهم فِي بِلاَدِهِم، فَلَمَّا وَقَعَ ذكرُهُ بالمدينةِ وَتَحَدَّثوا بما بَيْنَ قُرَيْشٍ فيه من الاختلافِ، قال أبو قَيْس بن الأسْلَت أخو بني وَاقِفٍ.

نسب أبي قيس بن الأسلت

قال ابن هشام: نَسَبَ ابْنُ إسحاق أبا قيسٍ هذا ههنا إلى بني واقف، وَنَسَبَهُ في حديثِ الفيلِ إلى خَطْمَةَ؛ لأنَّ العَرَبَ قَدْ تَنْسِبُ الرجلَ إلى أخِي جَدِّهِ الذي هو أشهرُ منه.

ذكر بعض من نسبوه إلى إخوة جدهم

قال ابن هشام: حدثني أبو عبيدة، أن الْحَكَم بن عَمْرو الْغِفَاري من ولد نُعَيْلة أخي غِفَار، وهو غِفَارُ بْنُ مُلَيْل، وَنُعَيْلة: ابن مُلَيْل بن ضَمْرة بن بَكْر بن عبد مَنَاةَ، وقد قالوا: عُتْبَةُ بن غَزْوان السُّلَمي، وَهُوَ مِنْ وَالِدِ مَازِن بْنِ مَنْصور، وَسُلَيم: ابن مَنْصور.

قال ابن هشام: فأبو قيس بن الأسلت مِن بني وَائِلٍ، وَوَائِلُ وواقف وخَطْمة إخوة، من الأوسِ.

قال ابن إسحاق: فقال أبو قيس بن الأسْلَت، (وكان يحب قريشاً، وكان لهم صِهْراً: كانت عنده أرْنَبُ بنت أسَد بن عبد العُزَّى بن قُصَيّ، وكان يقيم عندهم السِّنِينَ بامرأته) قصيدةً يعظّم فيها الحرمةَ، وَيَنْهى قريشاً فِيهَا عَنِ الحَرْبِ، وَيَأْمُرُهُمْ بِالكفِّ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ، ويذكر فَضْلَهم وأحْلاَمَهُمْ، ويأمُرُهم بالْكَفِّ عَنْ رَسُولِ الله ـ ﷺ ـ، ويُذَكّرهم بَلاَءَ الله عندهم، ودَفْعَه عنهم الفيل وكيدَهُ عنهم؛ فقال [من الطويل]:

يَـا رَاكِـبـاً إِمَّـا عَـرَضْـتَ فَـبَـلِّـغَـنْ ... مُـغَـلْـغَـلَـةً عَـنِّـي لُـؤَيَّ بْـنَ غَـالِـبِ[1]

رَسُـولَ امْـرِىءٍ قَـدْ رَاعَـهُ ذَاتُ بَـيْـنِـكُـمْ ... عَـلَـى النَّـأْيِ مَـحْـزُونٍ بِـذَلِـكَ نَـاصِـبِ[2]

وَقَـدْ كَـانَ عِـنْـدِي لِـلْـهُـمُـومِ مُـعَـرَّسٌ ... فَـلَـمْ أَقْـضِ مِـنْـهَـا حَـاجَـتِـي وَمَـآرِبِـي

نُـبَـيِّـئُـكُـمْ شَـرْجَـيْـنِ: كُـلُّ قَـبِـيـلَـةٍ ... لَـهَـا أَزْمَـلٌ مِـنْ بَـيْـنِ مُـذْكٍ وَحَـاطِـبِ[3]

أُعِـيـذُكُـمُ بِـالـلَّـهِ مِـنْ شَـرِّ صُـنْـعِـكُـمْ ... وَشَـرِّ تَـبَـاغِـيـكُـمْ وَدَسِّ الْـعَـقَـارِبِ

وَإِظْـهَـارِ أَخْـلاَقٍ وَنَـجْـوَىٰ سَـقِـيـمَـةٍ ... كَـوَخْـزِ الأَشَـافِـي وَقْـعُـهَـا حَـقُّ صَـائِـبِ[4]

فَـذَكّـرْهُـمُ بِـالـلَّـهِ أَوَّلَ وَهْـلَـةٍ ... وَإِحْـلاَلِ أَحْـرَامِ الـظِّـبَـاءِ الـشَّـوَازِبِ[5]

وَقُـلْ لَـهُـمْ وَالله يَـحْـكُـمُ حُـكْـمَـهُ: ... ذَرُوا الْحَرْبَ تَذْهَبْ عَنْكُمُ فِي الْمَرَاحِبِ[6]

مَـتَـىٰ تَـبْـعَـثُـوهَـا تَـبْـعَـثُـوهَـا ذَمِـيـمَـةً ... هِـيَ الْـغُـولُ لِـلأَقْـصَـيْـنَ أَوْ لِـلأَقَـارِبِ[7]

تُـقَـطِّـعُ أَرْحَـامـاً وَتُـهْـلِـكُ أُمَّـةً ... وَتَـبْـرِي السَّـدِيفَ مِـنْ سَـنَـامٍ وَغَـارِبِ[8]

وَتَـسْـتَـبْـدِلُـوا بِـالأَتْـحَـمِـيَّـةِ بَـعْـدَهَـا ... شَـلِـيـلاً وَأَصْـدَاءً ثِـيَـابَ الْـمُـحَـارِبِ[9]

وَبِـالْـمِـسْـكِ وَالْـكَـافُـورِ غُـبْـراً سَـوَابِـغـاً ... كَـأَنَّ قَـتِـيـرَيْـهَـا عُـيُـونُ الْـجَـنَـادِبِ[10]

---

(١) المُغَلْغَلَةُ: الرسالة، وذكر السيهلي بعض أبياتها في الروض، ينظر: الروض الأنف (٢/ ٣٠) وما بعدها.

(٢) والنّاصب: المَعْي، التّعِبُ.

(٣) شرجَيْن: أي نوعين، والأزْمَلُ: الصوت، والمذكي: الذي يوقد النار، والحاطب: الذي يجمع الحطب.

(٤) الوَخْزُ: الطعن، والأشافي: جمع إشفى، وهي: التي يُخْرَز بها.

(٥) أحرام الظباء: يعني التي يحرم صيدها في الحرم، والشوازب: الضامرة البطون.

(٦) المراحِبُ: المواضع المُتّسِعَةُ.

(٧) الغُول: هنا المنيّة.

(٨) تَبْري: تقطع، والسَّديف: لحم الظهر، والسَّنام: الظهر، والغراب: أعلى الظهر.

(٩) الأتحميّة: ضرب من برود اليمن، والشّليل: ثياب تلبس تحت الدروع، ويقال: هي الدروع بعينها، وأصداء: يعني دروعاً متغيرة بالصّدأ.

(١٠) السّوابغ: الدروع الكاملة، والقَتِير: مسامير حلق الدرع، والجنادب: ذكور الجراد واحدها: جندب.

فَإِيَّاكُمُ والْحَرْبَ لاَ تَعْلَقَنَّكُمْ ... وَحَوْضاً وَخِيمَ الْمَاءِ مُرَّ الْمَشَارِبِ(١)

تَزَيَّنُ لِلأَقْوَامِ ثُمَّ يَرَوْنَهَا ... بِعَاقِبَةٍ إِذْ بَيَّنَتْ أُمَّ صَاحِبِ

تُحَرِّقُ لاَ تُشْوِي ضَعِيفاً وَتَنْتَحِي ... ذَوِي الْعِزِّ مِنْكُمْ بِالْحُتُوفِ الصَّوَائِبِ(٢)

أَلَمْ تَعْلَمُوا مَا كَانَ فِي حَرْبِ دَاحِسٍ ... فَتَعْتَبِرُوا أَوْ كَانَ فِي حَرْبِ حَاطِبِ؟(٣)

وَكَمْ قَدْ أَصَابَتْ مِنْ شَرِيفٍ مُسَوَّدٍ ... طَوِيلِ الْعِمَادِ ضَيْفُهُ غَيْرُ خَائِبِ

عَظِيمٍ رَمَادِ النَّارِ يُخْمَدُ أَمْرُهُ ... وَذِي شِيمَةٍ مَخْضٍ كَرِيمِ الْمَضَارِبِ(٤)

وَمَاءٍ هُرِيقَ فِي الضَّلاَلِ كَأَنَّمَا (٥٢/أ) ... أَذَاعَتْ بِهِ رِيحُ الصَّبَا وَالْجَنَائِبِ(٥)

يُخَبِّرُكُمْ عَنْهَا امْرُؤٌ حَقُّ عَالِمٍ ... بِأَيَّامِهَا والْعِلْمُ عِلْمُ التَّجَارِبِ

فَبِيعُوا الْحِرَابَ مِلْمُحَارِبٍ وَاذْكُرُوا ... حِسَابَكُمُ، وَاللهُ خَيْرُ مُحَاسِبِ

وَنَيُّ امْرِىءٍ فَاخْتَارَ دِيناً، فَلاَ يَكُنْ ... عَلَيْكُمْ رَقِيباً غَيْرُ رَبِّ الثَّوَاقِبِ(٦)

أَقِيمُوا لَنَا دِيناً حَنِيفاً فَأَنْتُمُ ... لَنَا غَايَةٌ، قَدْ يُهْتَدَى بِالذَّوَائِبِ(٧)

وَأَنْتُمْ لِهٰذَا النَّاسِ نُورٌ وَعِصْمَةٌ ... تُؤَمُّونَ والأَحْلاَمُ غَيْرُ عَوَازِبِ(٨)

وَأَنْتُمْ - إِذَا مَا حُصِّلَ النَّاسُ - جَوْهَرٌ ... لَكُمْ سُرَّةُ الْبَطْحَاءِ شُمُّ الأَرَانِبِ(٩)

تَصُونُونَ أَجْسَاداً كِرَاماً عَتِيقَةً ... مُهَذَّبَةَ الأَنْسَابِ غَيْرَ أَشَائِبِ(١٠)

يَرَىٰ طَالِبُ الْحَاجَاتِ نَحْوَ بُيُوتِكُمْ ... عَصَائِبَ هَلْكَىٰ تَهْتَدِي بِعَصَائِبِ

لَقَدْ عَلِمَ الأَقْوَامُ أَنَّ سَرَاتَكُمْ ... عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ خَيْرُ أَهْلِ الْجَبَاجِبِ(١١)

وأفضلُهُ رَأْياً وَأَعْلاَهُ سُنَّةً ... وَأَقْوَلُهُ لِلْحَقِّ وَسْطَ الْمَوَاكِبِ(١٢)

---

(١) وَخِيم، معناه: ثقيل.

(٢) لا تُشوي، أي لا تُخطي، وقد تقدم، وتنتحي معناه: تعتمد وتقصد.

(٣) حرب داحس: قد ذكره ابن هشام.

(٤) قال الخشني: من رواه المضارب، فهي: أطراف السيوف فاستعارها هنا، ومن رواه: الضرائب، فهي: الطباع.

(٥) الضَّلال: الأمطار المُتفرِّقة، ومن رواه: الضلال، فهو معلوم.

(٦) الثَّواقِبُ: النجوم، ومنه: قوله تعالى: ﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ ۝٣﴾ [الطارق: ٣].

(٧) الذوائب: الأعالي.

(٨) الأحلام: العقول، وغير عوازب، أي: غير بعيدة.

(٩) سُرَّةُ البطحاء، سُرَّةُ الشيء: خيره وأعلاه، وشُمُّ: مرتفعة، والأرانب: جمع أرنبة الأنف، وهو الذي فيه ثقب الأنف.

(١٠) غير أشائب، أي: غير مختلطة يعني أنها خالصة النسب.

(١١) الجباجب: المنازل واحدها جبجبة.

(١٢) المواكب: هو جمع موكب، وهي الجماعة من الخيل.

فَقُومُوا فَصَلُّوا رَبَّكُمْ وَتَمَسَّحُوا بِأَرْكَانِ هٰذَا الْبَيْتِ بَيْنَ الأَخَاشِبِ[1]
فَعِنْدَكُمُ مِنَّهُ بَلاَءٌ وَمَصْدَقٌ غَدَاةَ أَبِي يَكْسُومَ هَادِي الْكَتَائِبِ
كَتِيبَتُهُ بِالسَّهْلِ تَمْشِي وَرِجْلُهُ عَلَى الْقَاذِفَاتِ فِي رُءُوسِ الْمَنَاقِبِ[2]
فَلَمَّا أَتَاكُمْ نَصْرُ ذِي الْعَرْشِ رَدَّهُمْ جُنُودُ الْمَلِيكِ بَيْنَ سَافٍ وَحَاصِبِ[3]
فَوَلَّوْا سِرَاعاً هَارِبِينَ وَلَمْ يَؤُبْ إِلَى أَهْلِهِ مِلْحِبْشٍ غَيْرُ عَصَائِبِ
فَإِنْ تَهْلِكُوا نَهْلِكْ وَتَهْلِكْ مَوَاسِمٌ يُعَاشُ بِهَا، قَوْلُ امْرِىءٍ غَيْرِ كَاذِبِ[4]

قال ابن هشام: أَنْشَدَنِي بَيْتَهُ: «ومَاءِ هُرِيق» وَبَيْتَهُ: «فَبِيعوا الْحِراب» وقوله: «وَلِيُّ امرىء فاختار» وقوله: «على القاذفات في رءوس المناقب» أبو زيد الأنصاري وغيره.

حرب داحس

قال ابن هشام: وأما قولُهُ:

أَلَمْ تَعْلَمُوا مَا كَانَ فِي حَرْبِ دَاحِس ....

فحدثني أبو عبيدة النَّحْوِي، أَنَّ دَاحِساً فَرَسٌ كَانَ لقيسِ بْنِ زُهَيْر بن جَذِيمة بن رَوَاحة بن ربيعة بن الْحرث بن مازن بن قُطَيْعة بن عَبْس بن بَغيض بن رَيْث بن غَطَفان؛ أَجْرَاهُ مع فرس لحُذَيْفَة بن بَدْر بنِ عَمْرو بن زيد بن جُؤَيَّة بن لَوْذَان بن ثَعْلَبة بن عَدِي بن فَزَارة بن ذُبْيان بن بَغِيض بن رَيْث بن غَطَفان يقال لها الْغَبْراء؛ فَدَسَّ حُذَيْفَةُ قوماً، وَأَمْرُهم أَنْ يَضْرِبُوا وَجْهَ داحسٍ إِنْ رَأَوْهُ قَدْ جَاءَ سَابِقاً، فجاء داحسٌ سَابِقاً، فَضَرَبُوا وَجْهَه؛ وَجَاءَتِ الْغَبْرَاءُ، فلمَّا جَاءَ فارس داحس أخبر قيساً الخَبَرَ، فَوَثَبَ أخوه مالكُ بْنُ زُهَير فَلَطَمَ وَجْهَ الغبراء، فَقَامَ حَمَلُ بن بَدْر فَلَطَمَ مَالِكاً، ثم إن أبا الْجُنَيْدِب الْعَبْسِيَّ لقي عَوْف بن حُذَيفة فقتله، ثم لقي رَجُلٌ مِنْ بَنِي فَزَارَةَ مَالِكاً فَقَتَلَهُ، فقال حَمَلُ بنُ بَدْرٍ أخو حُذَيْفة بن بدر [من الطويل]:

قَتَلْنَا بِعَوْفٍ مَالِكاً وَهْوَ تَأْرُنَا فَإِنْ تَطْلُبُوا مِنَّا سِوَى الْحَقِّ تَنْدَمُوا

وهذا البيت في أبيات له:

وقال الربيع بن زياد العبسي [من الكامل]:

---

(١) فصلُّوا ربَّكم، صلوا هنا بمعنى: ادعوا، الأخاشب: أراد الأخشبين، وهما جبلان بـ «مكة» فجمعهما مع ما يليهما.

(٢) القاذفات والقُذَّفات: أعالي الجبال، والمناقب هنا: الطرق في أعالي الجبال واحدها منقبة.

(٣) السَّافي: الذي أصابه الغبار، والحاصب: الذي أصابته الحصباء، وهي الحجارة، وهو على معنى النسب، كما قالوا تامر ولابن، وقد يكون السافي الذي يثير الغبار، والحاصب الذي يثير الحصباء، أي: يقتلعها.

(٤) ينظر: بعض من هذه القصيدة، في البداية والنهاية (٢/ ٢٢٠ ـ ٢٢١).

أَفَبَعْدَ مَقْتَلِ مَالِكِ بْنِ زُهَيْرٍ تَرْجُو النِّسَاءُ عَوَاقِبَ الأَطْهَارِ؟[1]

وهذا البيت في قصيدة له.

فَوَقَعَتِ الحربُ بَيْنَ عَبْس وفَزَارَة، فَقُتِلَ حُذَيفة بن بدر وأخوه حَمَل بن بدر، فَقَالَ قَيْسُ بْنُ زُهَير بن جَذيمة يرثي حُذَيْفَةَ وَجَزِعَ عليه [من الكامل]:

كَمْ فَارِسٍ يُدْعَىٰ وَلَيْسَ بِفَارِسٍ وَعَلَى الْهَبَاءَةِ فَارِسٌ ذُو مَصْدَقِ[2]

فَابْكُوا حُذَيْفَةَ لَنْ تُرَثُّوا مِثْلَهُ حَتَّىٰ تَبِيدَ قَبَائِلٌ لَمْ تُخْلَقِ[3]

وهذان البيتان في أبيات له.

وقال قيس بن زهير [من الوافر]:

عَلَىٰ أَنَّ الْفَتَىٰ حَمَلَ بْنَ بَدْرٍ بَغَىٰ، وَالظُّلْمُ مَرْتَعُهُ وَخِيمُ[4]

وهذا البيت في أبيات له.

وقال الحرث (٥٢/ب) بن زهير أخو قيس بن زهير [من الوافر]:

تَرَكْتُ عَلَى الْهَبَاءَةِ غَيْرَ فَخْرٍ حُذَيْفَةَ عِنْدَهُ قِصَدُ الْعَوَالِي[5]

وهذا البيت في أبيات له.

قال ابن هشام: وَيُقَالُ: أَرْسَلَ قيسٌ دَاحِساً والغبراءَ، وَأَرْسَلَ حذيفةُ الخطَّار والْحَنْفَاء،

---

(١) الأطهار هنا: جمع طهر من الحيض.
وينظر: لسان العرب ٥/ ١٨٥ (مهر)، ١٥/ ٢٠٧ (قوا)؛ وتاج العروس (قوا)؛ وبلا نسبة في لسان العرب ٣/ ٣٦٣ (قعد)؛ وتهذيب اللغة ١/ ٢٠٣، ٩/ ٣٦٨؛ ومقاييس اللغة ٥/ ٣٧؛ ومجمل اللغة ٤/ ١٣٠.

(٢) الهباءةُ: اسم موضع.

(٣) لن ترثُوا، من رواه: ترثوا بالثاء المثلثة فهو من الرثاء، ومن رواه: تُرَبُّوا بالباء بواحدة وتاء مضمومة، فهو بمعنى: التربية، ومن رواه: تَرُبُّوا بفتح التاء، فمعناه: تُصَيِّرونه ربًّا عليكم أي أميراً، وتَبِيدُ، أي: تهلك.

(٤) وَخِيمٌ، أي: ثقيل.
وقبل هذا البيت قوله [من الوافر]:

تَعَلَّمْ أَنَّ خَيْرَ النَّاسِ مَيْتٌ عَلَى جَفْرِ الْهَبَاءَةِ لاَ يَرِيمُ

وَلَوْلاَ ظُلْمُهُ مَا زِلْتُ أَبْكِي عَلَيْهِ الدَّهْرَ مَا طَلَعَ النُّجُومُ

وبعده البيت. وبعده قوله: ـ

أَظُنُّ الْحِلْمَ دَلَّ عَلَيَّ قَوْمِي وَقَدْ يُسْتَجْهَلُ الرَّجُلُ الْحَلِيمُ

ويروى البيت هكذا: ـ

ولكن الفتى حَمَلَ بنَ بَدْرٍ بَغَى والبَغْيُ مَصْرَعُه وَخِيمُ

ينظر: تاج العروس ١٠/ ٤٤٩ (جفر)؛ ومعجم البلدان ٣٨٠ (الهباءة)؛ وتاج العروس (هبا).

(٥) القِصَدُ: جمع قِصدة، وهي القطعة المتكسِّرة، والعوالي: أعالي الرِّماح.

والأولُ أَصَحُّ الحديثين، وهو حديثٌ طويلٌ منعني مِن اسْتِقْصَائِهِ قَطْعُه حديثَ سِيرَةِ رسولِ الله - ﷺ -.

حرب حاطب

قال ابن هشام: وأما قوله:

حرب حاطب ....

فيعني حاطبَ بن الحرث بن قيس بن هَيْشَة بن الحرث بن أُمَية بن مُعَاوية بن مالك بن عَوْف بن عمْرو بن عَوْف بن مالك بن الأوس، كَانَ قَتَلَ يَهُودِيًّا جَاراً للخزرج، فَخَرَجَ إليه يزيدُ بْنُ الحرث بْنِ قَيْس بن مالك بن أَحْمَرَ بن حارثة بن ثَعْلبة بن كَعْب بن الْخَزْرج بن الحرث بن الخزرج وَهُوَ الَّذِي يُقَالُ له ابْنُ فُسْحُم وَفُسْحُمُ أمه، وهي امرأةٌ مِنَ الْقَيْن بن جَسْر - ليلاً في نفرٍ مِنْ بني الحرث بن الخزرج فَقَتَلُوهُ، فَوَقَعَتِ الحَرْبُ بين الأوس والخزرج، فَاقْتَتَلُوا قِتَالاً شَدِيداً، فَكَانَ الظَّفَرُ للخزرج على الأوسِ، وَقُتِلَ يَوْمَئِذٍ سُوَيدُ بْنُ صامت بن خالد بن عَطِيَّة بن حَوْط بن حَبيب[1] بن عَمْرو بن عَوْف بن مالك بن الأوس، قَتَلَهُ الْمُجَذّر بن ذَيَّاد الْبلوى، واسمُهُ: عبدُ الله [بن ذَيَّاد البلوى]، حليف بني عَوْف بن الخزرج، فلمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُد خَرَجَ الْمُجَذّر بن ذَيَّاد مَعَ رَسُولِ الله ﷺ وَخَرَجَ معه الحرث بن سُوَيد بن صامت فَوَجَدَ الحرث بن سُوَيد غِرَّةً[2] من الْمُجَذّر، فَقَتَلَهُ بأبيه، وَسَأَذْكُرُ حَدِيثَهُ في مَوْضِعِه، إن شاء الله تعالى.

ثم كانت بينهم حروبٌ مَنَعَنِي من ذكرِها واستقصاءُ هذا الحديثِ ما ذكرت في حديثِ حَرْبِ داحس.

حكيم بن أمية يعاتبُ قومه في عداوتهم النبي

قال ابن إسحاق: وقال حكيمُ بْنُ أُمَيَّةَ بْنِ حارثة بن الأوْقَص السُّلَمي، حليفُ بني أمية، وقد أسلم، يُوَرِّع قومه[3] عمَّا أَجْمَعُوا عليه من عَدَاوة رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكَانَ فِيهِمْ شَرِيفاً مُطَاعاً [من الطويل]:

هَلْ قَائِلٌ قَوْلاً مِنَ الْحَقِّ قَاعِدٌ ... عَلَيْهِ؟! وَهَلْ غَضْبَانُ لِلرُّشْدِ سَامِعُ؟!

وَهَلْ سَيِّدٌ تَرْجُو الْعَشِيرَةُ نَفْعَهُ ... لِأَقْصَى الْمَوَالِي والأَقَارِبِ جَامِعُ؟!

---

(١) قال الخشني: سُوَيد بن صامت بن حبيب بن عمرو: وقع في الرواية هنا حبيب وحُبَيْبٌ وحُبَيْبٌ بتشديد الياء وتخفيفها، والصواب فيه حَبِيب بفتح الحاء وكسر الباء.

(٢) غِرَّةٌ، أي: غفلة.

(٣) يُوَرِّعُ قومه: أي يصرف ويردُّ. قال الشاعر [من الوافر]:

.... يُوَرِّعُ عنهم سنن الفحول

أي: يكُفُّها ويمنعها، ومنه الورع إنما هو الكف عن المحارم.

تَبَرَّأْتُ إِلاَّ وَجْهَ مَنْ يَمْلِكُ الصَّبَا وَأَهْجُرُكُمْ مَا دَامَ مُدْلٍ وَنَازِعُ[1]
وَأُسْلِمُ وَجْهِي لِلْإِلٰهِ وَمَنْطِقِي وَلَوْ رَاعَنِي مِنَ الصَّدِيقِ رَوَائِعُ

ذكر بعض ما لقي رسول الله ﷺ من قومه

قال ابن إسحاق: ثم إنَّ قُرَيْشاً اشْتَدَّ أمرُهم للشَّقَاءِ الذي أَصَابَهُمْ في عَدَاوة رسولِ اللهِ ـ ﷺ ـ وَمَنْ أَسْلَمَ مَعَهُ مِنْهُمْ، فأغْرَوْا بِرَسُولِ اللهِ ـ ﷺ ـ سُفَهَاءَهُمْ؛ فَكَذَّبُوهُ، وآذَوْه، وَرَمَوْه بالشِّعْرِ والسِّحْرِ والكَهَانَةِ والجنونِ، وَرَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ مُظْهِرٌ لأمر اللهِ، لا يَسْتَخْفِي به، مُبَادٍ لهم بما يكْرَهُونَ: مِنْ عَيْبِ دِينِهِمْ، واعتزالِ أَوْثَانِهِمْ، وفراقه إيَّاهم عَلى كُفْرِهِمْ.

قال ابن إسحاق: فحدثني يحيى بن عُرْوة بن الزبير، عن أبيه عروة بن الزبير، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: قلتُ له: ما أكثر ما رأيتُ قُرَيشاً أَصَابُوا مِنْ رَسُولِ اللهِ ـ ﷺ ـ فيما كانوا يُظْهِرُونَ مِنْ عَدَاوَتِه؟ قال: حَضَرْتهم وقد (٥٣/أ) اجتمعَ أَشْرَافُهُمْ يوماً في الحجر فَذَكَرُوا رَسُولَ اللهِ ـ ﷺ ـ، فقالوا: مَا رَأَيْنَا مِثْلَ ما صَبَرْنَا عليه من أَمْرِ هذا الرجلِ قَطُّ: سَفَّه أَحْلامَنَا، وَشَتَم آباءنا، وَعَابَ دِينَنَا، وفَرَّقَ جَمَاعَتَنَا، وَسَبَّ آلِهَتَنَا؛ لَقَدْ صَبَرْنَا منه على أَمْرٍ عَظِيم، أو كما قالوا، فبيناهم في ذلك إذْ طَلَعَ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ، فَأَقْبَلَ يَمْشِي حتى اسْتَلَمَ الرُّكْنَ، ثم مَرَّ بهم طائفاً بالبيتِ، فَلَمَّا مَرَّ بِهم، غَمَزُوه[2] بِبَعْضِ القولِ، قال: فَعَرَفْتُ ذلك في وَجْهِ رَسُولِ اللهِ ـ ﷺ ـ، قال: ثم مَضَىٰ، فلمَّا مَرَّ بهم الثانيةَ غَمَزُوه بِمِثْلِهَا، فَعَرَفْتُ ذلك في وَجْهِ رَسُولِ اللهِ ـ ﷺ ـ، ثم مَرَّ بهم الثالثةَ فغمزوه بمثلها، فَوَقَفَ، ثم قال: «أَتَسْمَعُونَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِالذَّبْحِ» قال: فَأَخَذَتِ القَوْمَ كلمتُهُ، حتَّى ما منهم رَجُلٌ إلاَّ كأنما على رَأْسِهِ طَائِرٌ وَاقِعٌ، حتى إنَّ أَشَدَّهُمْ فيه وَصَاة قَبل ذلك لَيَرْفَؤُه[3] بأحْسَن ما يجد مِنَ الْقَولِ، حتى إنه ليقول: انْصَرِفْ يا أبا القاسم، فوالله ما كُنْتَ جَهُولاً، قال: فانْصَرَفَ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ، حتى إذَا كَانَ الغَدُ اجْتَمَعُوا في الحجرِ وأنا معهم، فقال بَعْضُهُمْ لبعضٍ: ذكرتم ما بَلَغَ منكم وَمَا بَلَغَكُمْ عنه، حتى إذا بَادَاكُمْ بما تَكْرَهُونَ تَرَكْتُمُوهُ، فبيناهم في ذلك طَلَعَ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ، فَوَثَبُوا إليه وَثْبَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ، وَأَحَاطُوا به يَقُولُونَ: أنت الذي تَقُولُ كذا وكذا، لما كان يقولُ مِنْ عَيْبِ آلهتهم ودِينِهِمْ، فيقول رسولُ الله ـ ﷺ ـ: «نَعَمْ، أَنَا الَّذِي أَقُولُ ذَلِكَ» قال: فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلاً منهم أَخَذَ بمَجْمَعِ رِدَائِهِ، قال: فَقَامَ أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ دُونَه وَهُوَ يَبكِي،

---

(١) المُدلي: المرسل الدَّلْو، والنَّازعُ: الجاذبُ لها.
(٢) غَمَزُوه، أي: طعنوا فيه بالقول.
(٣) لِيَرْفَؤُهُ: أي يُهَدِّئُهُ ويُسَكِّنُهُ.

ويقولُ: أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ الله، ثم انْصَرَفُوا عنه، فَإِنَّ ذلك لأَشَدِ ما رأيتُ قُرَيْشاً نالوا منه قَطُّ [٢٠٦].

قال ابن إسحاق: وحدثني بعضُ آلِ أُمِّ كُلثوم ابنة أبي بكر أنها قالت: رَجَعَ أبو بكر يَوْمَئِذٍ وقد صَدَعُوا فَرْقَ[1] رأسِهِ ممَّا جَبَذُوه بِلِحْيَتِهِ، وكان رَجُلاً كَثِيرَ الشَّعْرِ [٢٠٧].

قال ابن هشام: حدثني بعضُ أهلِ العلم أَنَّ أَشَدَّ ما لَقِيَ رَسُولُ الله - ﷺ - مِنْ قُرَيْشٍ أنه خَرَجَ يوماً، فَلَمْ يَلْقَهُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ إلاَّ كَذَّبَهُ وآذاه، لا حُرٌّ ولا عَبْدٌ، فَرَجَعَ رسولُ الله - ﷺ - إلى مَنْزِلِه فَتَدَثَّر مِنْ شِدَّةِ ما أَصَابَهُ، فَأَنْزَلَ الله تعالى عليه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢﴾ [المدثر: ١ - ٢]

إِسْلاَمُ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَمِّ رَسُولِ اللهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[2]

قال ابن إسحاق: حدثني رَجُلٌ مِنْ أسلمَ، كان واعية، أن أبا جَهْلٍ مَرَّ بِرَسُولِ اللهِ - ﷺ - عِنْدَ الصفا، فآذاه وَشَتَمَهُ، وَنَالَ منه بَعْضَ مَا يَكْرَهُ مِنَ العيبِ لِدِينِهِ والتضعيفِ لأَمْرِهِ،

---

[٢٠٦] سنده حسن. وأخرجه أحمد (٢/ ٢١٨) والطبري في «تاريخه» (٢/ ٣٣٢ - ٣٣٣) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٢٧٥ - ٢٧٦) من طريق محمد بن إسحاق به والحديث ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ١٨) وقال: رواه أحمد وقد صرح ابن إسحاق بالسماع وبقية رجاله رجال الصحيح. وعلقه البخاري عن محمد بن إسحاق بعد أن أخرجه من طريق آخر. فأخرجه (٧/ ٣٧١) كتاب الفضائل: باب قول النبي ﷺ «لو كنت متخذاً خليلاً حديث (٣٦٧٨) وفي (٧/ ٥٥٥) كتاب مناقب الأنصار باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة حديث (٣٨٥٦) من طريق يحيى بن أبي كثير عن محمد بن إبراهيم عن عروة بن الزبير به. وقال البخاري: وقال محمد بن عمرو عن أبي سلمة حدثني عمرو بن العاص. وهذا الطريق الذي علقه البخاري وصله ابن أبي شيبة (٨/ ٤٤١) وأبو يعلى (١٣/ ٣٢٤ - ٣٢٥) رقم (٧٣٣٩) وابن حبان (١٦٨٥ - موارد) وأبو نعيم في «دلائل النبوة» رقم (١٥٩) كلهم من طريق محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن عمرو بن العاص به. والحديث ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ١٩) وقال: رواه أبو يعلى والطبراني وفيه محمد بن عمرو بن علقمة وحديثه حسن وبقية رجال الطبراني رجال الصحيح.

[٢٠٧] إسناده ضعيف لجهالة شيوخ ابن إسحاق ولم أجده عند غيره.

---

(١) صدعوا، أي: شقّوا، والفَرق: حيث يتفرق الشعر في مقدم الجبهة.

(٢) ينظر الإصابة ٢/ ١٠٥، وطبقات ابن سعد ٣/ ١/ ٣ - ١١، ونسب قريش ١٧ - ١٥٢ - ٢٠٠، وتاريخ خليفة ٦٨، والجرح والتعديل ٣/ ٢١٢، وتهذيب الأسماء واللغات ١/ ١١٨ - ١٦٩، والعقد الفريد ٤/ ٢٢٧.

فَلم يُكَلِّمْهُ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَوْلاَةٌ لعبدِ اللهِ بْنِ جُدْعان بن عمرو بن كعب بن سَعْد بن تَيْم بن مُرَّة في مَسْكنٍ لها تَسْمَعُ ذلك، ثم انْصَرَفَ عنه، فَعَمَدَ إلى نادٍ[1] مِنْ قُرَيْشٍ عند الكعبةِ، فَجَلَس معهم، فَلَمْ يَلْبَثْ حمزةُ بْنُ عبد المطلب ـ رضي الله عنه ـ أَنْ أَقْبَلَ مُتَوشِّحاً قَوْسَهُ[2] رَاجِعاً مِنْ قَنَص[3] له، وكان صاحبُ قَنَص يرميه ويَخْرُجُ له، وَكَان إِذَا رَجَعَ من (٥٣/ ب) قَنَصِهِ لم يَصِلْ إلى أَهْلِهِ حتى يَطُوفَ بالكعبةِ، وكان إذا فَعَلَ ذلك لم يَمُرَّ على نادٍ من قُرَيْش إلاَّ وَقَفَ وسَلَّمَ وَتَحَدَّثَ معهم، وكَانَ أَعَزَّ فَتىً في قُرَيْشٍ، وأشد شكيمةً، فلمَّا مرَّ بالْمُولاَةِ وَقَدْ رَجَع رَسُولُ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى بَيْتِهِ قالت له: يا أبا عُمَارَةَ، لو رأيتَ ما لقي ابنُ أَخِيكَ محمدٌ آنفاً مِنْ أبي الحَكَم بن هشام!! وَجَدَهُ ههنا جَالِساً فآذاه وَسَبَّهُ وَبَلَغَ منه ما يَكْرَهُ، ثم انْصَرَف عنه، ولم يُكَلِّمْهُ محمدٌ ـ ﷺ ـ؛ فاحْتَمَلَ حَمْزَةَ الغَضَبُ لما أَرَادَ الله به من كرامتِهِ، فَخَرَجَ يَسْعَىٰ، وَلَمْ يَقِفْ عَلَىٰ أَحَدٍ، مُعِدًّا لأبي جَهْلٍ ـ إذا لقيه ـ أَنْ يُوقِعَ به؛ فلمَّا دَخَلَ المَسْجِدَ نَظَر إليه جَالِساً في القوم، فَأَقْبَلَ نَحْوَهُ، حتى إذا قَامَ عَلَىٰ رَأْسِهِ رَفَعَ القوسَ فَضَرَبَهُ بها فَشَجَّهُ شَجَّةً مُنْكَرَةً، ثم قالَ: أَتَشْتُمُهُ؟ فَأَنَا عَلَى دِينِهِ أَقُولُ مَا يَقُولُ، فَرُدَّ ذلك عليَّ إِنِ اسْتَطَعْتَ، فَقَامَتْ رِجَالٌ من بني مخزوم إلى حَمْزَةَ لِيَنْصُرُوا أَبَا جَهْلٍ، فقال أبو جهل: دَعُوا أبا عُمَارة، فَإِني والله، قد سَبَبْت ابْنَ أَخِيه سَبًّا قَبِيحاً وتم حمزةُ ـ رضي الله عنه ـ عَلَىٰ إِسْلاَمِهِ وَعَلَىٰ ما تَابَعَ عليه رَسُولُ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ قَوْلِهِ.

فلمَّا أسلم حمزةُ عَرَفَتْ قريشٌ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قد عَزَّ وامْتَنَعَ وأَنَّ حَمْزَةَ سَيَمْنَعُهُ، فكَفوا عَنْ بَعْضِ مَا كَانُوا يَنَالُونَ منه [٢٠٨].

---

[٢٠٨] إسناده ضعيف. لجهالة شيخ ابن إسحاق وعدم إدراكه لهذه القصة. وأخرجه الحاكم (٣/ ١٩٢ ـ ١٩٣) والطبري في «تاريخه» ((٢/ ٣٣٣ ـ ٣٣٤) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٢١٣) وابن الأثير في «أسد الغابة» (٢/ ٦٧ ـ بتحقيقنا) كلهم من طريق ابن إسحاق به. وقد وقع تسمية شيخ ابن إسحاق عند الطبراني: يعقوب بن عتبة.
أخرجه الطبراني في «الكبير» (٣/ ١٥٣ ـ ١٥٤) رقم (٢٩٢٦) من طريق محمد بن إسحاق عن يعقوب بن عتبة به مرسلاً. ويعقوب قال فيه الحافظ في «التقريب» (٢/ ٣٧٦) ثقة. ويبقى الحديث ضعيفًا لإرساله أو إعضاله. وذكره من هذا الطريق الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٢٧٠) وقال: رواه الطبراني مرسلاً ورجاله ثقات وينظر «سير أعلام النبلاء» (١/ ١٧٢).

---

(١) النَّادي: مجلس القوم.
(٢) متوشِّحاً قوسه: أي يتقلَّد قوسه كما يتقلَّد السيف.
(٣) القنص: الصيد.

عتبة بن ربيعة ورَسُولُ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قال ابن إسحاق: وحدثني يزيد بن زياد، عن محمد بن كعب الْقُرَظيّ قال: حُدِّثت أن عُتبة بن ربيعة، وَكَان سَيِّداً، قال يَوْماً وَهُوَ جَالِسٌ في نادي قريش ورَسُولُ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ في المَسْجِدِ وَحْدَهُ: يا معشرَ قُرَيْشٍ، أَلاَ أَقُومُ إلى محمدٍ فأكلمه وأعرضَ عليه أُموراً، لَعَلَّهُ يَقْبَلُ بَعْضَهَا فنعطيه أيها شاءَ وَيَكفّ عَنَّا، وذلك حين أسْلَمَ حَمْزَةُ، وَرَأَوْا أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَزِيدُون ويكثرون، فقالوا: بلى يا أبا الوليد، قُمْ إليه فَكَلِّمْهُ، فَقَامَ إليه عتبة حتى جَلَسَ إلى رَسُولِ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فقال: يا ابن أخي، إنك مِنَّا حَيْثُ قد عَلِمْتَ: من السِّطَةِ[1] في العشيرة والمكان في النَّسَبِ، وَإِنَّكَ قد أتيتَ قَوْمَكَ بأمرٍ عظيمٍ فَرَّقْتَ به جَمَاعَتَهُمْ وَسَفَّهْتَ به أَحْلاَمَهُمْ، وعِبْتَ به آلهتَهُمْ ودينَهُمْ، وكَفَّرْتَ به مَنْ مَضَى من آبائهم، فَاسْمَعْ مني أَعْرِضْ عَلَيْكَ أموراً تَنْظُرُ فيها لَعَلَّكَ تقبل منها بعْضَها قال: فَقَالَ له رَسُولُ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قُل يا أَبَا الْوَلِيدِ، أَسْمَعْ» قال: يا ابن أَخِي، إنْ كُنْتَ إنما تُرِيدُ بما جِئْتَ به مِنْ هذا الأمرِ مَالاً جَمَعْنَا لك مِنْ أَمْوَالنا حتى تَكُونَ أَكْثَرَنَا مَالاً، وَإِنْ كُنْتَ إنما تُرِيدُ به شَرَفاً سَوَّدْنَاكَ عَلَيْنَا حتى لا نَقْطَعَ أمراً دُونَكَ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ به مُلْكاً مَلَّكْنَاكَ عَلَيْنَا، وَإِنْ كَانَ هذا الذي يَأْتِيكَ رَيِّيًّا[2] تَرَاهُ لا تَسْتَطِيعُ رَدَّهُ عَنْ نَفْسِكَ طَلَبْنَا لك الطبَّ وَبَذَلْنَا فيه أَمْوَالَنَا حتى نُبْرِئك منه، فإنه ربما غَلَبَ التابعُ[3] على الرَّجُلِ حتى يُدَاوَىٰ منه، أو كما قال له، حتى إذا فرغ عتبةُ وَرَسُولُ - اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَسْتَمِعُ منه قال: «أَقَدْ فَرَغْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ»؟ (٥٤/ أ) قال: نَعَمْ، قَالَ: «فاستَمِعْ مِنِّي» قَالَ: أَفْعَلُ، فقال: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ، حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝٤ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ﴾ [فصلت: ١ - ٥] ثم مَضَىٰ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فيها يَقْرَؤُها عليه، فلمَّا سَمِعَها منه عُتْبَة أَنْصَتَ لها، وَأَلْقَىٰ يديه خَلْفَ ظَهْرِهِ معتمداً عليهما يَسْمَعُ منه، ثم انْتَهَىٰ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إلى السَّجْدَةِ منها فَسَجَدَ، ثم قال: «قَدْ سَمِعْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ مَا سَمِعْتَ، فَأَنْتَ وَذَاكَ» فقام عتبة إلى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لبعضٍ: نَحْلِفُ بالله لقد جَاءكم أبو الوليد بغيرِ الوَجْه الذِي ذَهَبَ به، فلمَّا جَلَسَ إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: ورائي أني سَمِعْتُ قولاً والله ما سَمِعْتُ مِثْلَهُ قَطُّ، والله ما هو بالشِّعْرِ، ولا بالسِّحْرِ، ولا بالكَهَانَةِ، يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ

---

(١) من السِّطَةِ، يعني: من الشرف، يقال: فلان من سِطَةِ قومه، أي: من أشرافهم.

(٢) والرِّئي والرِّئي - بفتح الراء وكسرها -: ما يتراءى للإنسان من الجن.

(٣) التَّابع ها هنا: من يَتْبَعُ من الجن.

أَطِيعُونِي، وَاجْعَلُوهَا بِي، وخَلوا بين هذا الرَّجُلِ وبين ما هو فيه، فَاعْتَزِلُوهُ، فوالله ليكونَنَّ لِقَوْلِهِ الذي سمعتُ منه نبأٌ عظيمٌ: فإن تُصِبْهُ العربُ فقد كُفِيتُمُوهُ بغيرِكم، وَإِنْ يَظْهَرْ عَلَى العَرَبِ فَمُلْكُهُ مُلْكُكُمْ وعِزُّه عِزُّكُمْ، وكنتم أَسْعَدَ الناسِ به، قالوا: سَحَرَك والله يا أبا الوليد بِلِسَانِهِ، قال: هذا رأيي فيه، فَاصْنَعُوا ما بدا لكم [٢٠٩].

حديث زعماء قريش مع النبي ﷺ

قال ابن إسحاق: ثم إنَّ الإِسْلاَمَ جَعَلَ يَفْشو بمكَّةَ في قبائل قريشٍ في الرِّجَالِ والنِّسَاءِ، وقريشٌ تَحْبِسُ مَنْ قَدَرَت عَلَىٰ حَبْسِهِ، وَتَفْتِنُ من استطاعت فتنته من المسلمين، ثم إِنَّ أَشْرَافَ قريشٍ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ ـ كما حدثني بعضُ أهلِ العلم، عن سعيد بن جبير، وعن عكرمة مولى ابن عباس، عن عبد الله بن عباس ـ رَضِيَ الله عنهما ـ قال: اجْتَمَعَ عتبةُ بْنُ رَبيعة، وشَيْبة بن ربيعة، وأبو سُفْيان بْنُ حَرْبٍ، والنَّضر بن الحرث بن كلدة أخو بني عبد الدار، وأبو الْبَخْتَرِيّ بن هشام، والأسود بن المطلب بن أسد، وَزَمْعَةُ بن الأسود، والوليدُ بْنُ المغيرة، وأبو جَهْلِ بْنُ هشام [لعنه الله] وَعَبْدُ اللهِ بْنُ أبي أمية، والعاص بْن وائل، وَنُبَيْه ومُنَبِّه ابنا الحجاج السهميان، وأُمَيَّة بن خلف، أَوْ مَنِ اجْتَمَعَ منهم، قال:

---

[٢٠٩] إسناد حسن إلى محمد بن كعب.

وأخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٢٠٤) من طريق محمد بن إسحاق به. وذكره المتقي الهندي في «كنز العمال» (٣٥٤٢٨) وعزاه لابن عساكر. ولهذا المرسل شاهد من حديث جابر. أخرجه عبد بن حميد في «المنتخب من المسند» (ص ٣٣٧ ـ ٣٣٨) رقم (١١٢٣) وابن أبي شيبة (١٤/ ٢٩٥) والحاكم (٢/ ٢٥٣ ـ ٢٥٤) وأبو نعيم في «دلائل النبوة» رقم (١٨٢) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٢٠٢ ـ ٢٠٤) كلهم من طريق الأجلح عن الذيال بن حرملة عن جابر بنحوه مرسل القرظي وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ٢٣) وقال رواه أبو يعلى وفيه الأجلح الكندي وثقه ابن معين وغيره وضعفه النسائي وغيره وبقية رجاله ثقات اهـ.

والأجلح هو ابن عبد الله بن حجية الكندي قال يحيى القطان في نفسي منه شيء. وقال أحمد: أجلح ومجاهد متقاربان في الحديث وقد روى الأجلح غير حديث منكر. وقال ابن معين: ثقة، وقال مرة: ليس به بأس وقال أخرى: صالح. وقال العجلي: كوفي ثقة. وقال أبو حاتم: ليس بالقوى يكتب حديثه ولا يحتج به وقال النسائي: ضعيف ليس بذاك وكان له رأي سوء وقال ابن عدي: له أحاديث صالحة يروى عنه الكوفيون وغيرهم ولم أجد له حديثاً منكراً مجاوزاً للحد لا إسناداً ولا متناً إلا أنه يعد في شيعة الكوفة وهو عندي مستقيم الحديث صدوق. وقال الحافظ: صدوق.

ينظر «تهذيب الكمال» (٢/ ٢٧٦ ـ ٢٧٨) و«التقريب» (١/ ٤٩). وعليه فالإسناد حسن إن شاء الله.

وللحديث شاهد آخر من حديث ابن عمر. أخرجه أبو نعيم في «دلائل النبوة» رقم (١٨٥) والبيهقي في «الدلائل» (٢/ ٢٠٥ ـ ٢٠٦) مختصراً وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» هذا حديث غريب جدًا من هذا الوجه.

اجْتَمَعُوا بَعْد غُرُوبِ الشَّمْسِ عِنْدَ ظَهْرِ الكَعْبَةِ، ثم قال بعضُهم لبعض: ابعثوا إلى محمدٍ فَكَلِّمُوه وَخَاصموه حتى تُعْذِرُوا فيه، فَبَعَثُوا إليه أَنَّ أَشْرَافَ قَوْمِكَ قدِ اجْتَمَعُوا لك ليكلِّمُوك فأْتِهِم، فجاءهم رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ سَرِيعاً، وهو يَظُنُّ أَنْ قَدْ بَدَا لهم فيما كلَّمَهم فيه بَدَاء، وَكَانَ عليه حَرِيصاً: يُحِبُّ رُشْدَهم، وَيَعِزُّ عَلَيْهِ عَنَتُهم[1]، حَتَّى جَلَس إليهم، فَقَالُوا له: يا محمدُ، إنا قد بَعَثْنَا إليك لِنُكَلِّمَكَ، وإنا والله ما نَعْلَم رَجُلاً مِنَ العَرَبِ أَدْخَلَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِثْلَ ما أدخلتَ على قَوْمِكَ؛ لقد شتمتَ الآباءَ، وعِبْتَ الدِّينَ، وَشَتَمْتَ الآلهة، وسَفَّهْتَ الأَحْلاَمَ، وفَرَّقْتَ الجماعةَ، فما بقي أمرٌ قبيحٌ إلاَّ قَدْ جِئْتَهُ فيما بيننا وبينك، أو كما قالوا له؛ فَإِنْ كنتَ إنما جئتَ بهذا الحديثِ تَطْلُبُ به مالاً جَمَعْنَا لَكَ مِنْ أَمْوَالِنَا حتى تَكُونَ أكثرنا مالاً، وَإِنْ كنتَ إِنَّما تَطْلُبُ به الشَّرَفَ فينا فَنَحْنُ (٥٤/ ب) نُسَوِّدُكَ علينا، وإن كنت تريد به مُلْكاً مَلَّكْناك علينا؛ وإن كان هذا الذي يأتيك رَئِيًّا تراه قد غَلَب عليك ـ وكانوا يُسَمُّونَ التَّابِعَ مِنَ الجِنِّ رَئِيًّا ـ فَرُبَّمَا كَانَ ذلك بَذَلْنَا لك أَمْوَالَنَا في طَلَبِ الطبِّ لك حتى نُبرِئَكَ منه أو نُعْذر فيك، فَقَال لهم رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: «مَا بي مَا تَقُولُونَ، مَا جِئْتُ بِمَا جِئْتُكُمْ بِهِ أَطْلُبُ أَمْوَالَكُمْ وَلاَ الشَّرَفَ فِيكُمْ، وَلاَ المُلْكَ عَلَيْكُمْ، وَلَكِنَّ اللهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ رَسُولاً، وَأَنْزَلَ عَلَيَّ كِتَاباً، وَأَمَرَنِي أَنْ أَكُونَ لَكُمْ بَشِيراً وَنَذِيراً، فَبَلَّغْتُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ، فَإِنْ تَقْبَلُوا مِنِّي مَا جِئْتُكُمْ بِهِ فَهُوَ حَظُّكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَإِنْ تَرُدُّوهُ عَلَيَّ أَصْبِرْ لأَمْرِ اللهِ حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ» أو كما قال ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قالوا: يا محمد، فَإِنْ كُنْتَ غَيْرَ قَابِلٍ منا شيئاً مما عرضناه عليك، فإنَّكَ قد عَلِمْتَ أنه ليس مِنَ النَّاسِ أَحَدٌ أَضيقَ بلداً، ولا أَقَلَّ ماءً، ولا أَشدَّ عَيْشاً مِنَّا، فَسَلْ لنا رَبَّكَ الذي بَعَثَكَ بما بَعَثَكَ به فَلْيُسَيِّرْ عنا هذه الجبالَ التي قد ضَيَّقَتْ عَلَيْنَا، ولْيَبْسُط لنا بِلاَدَنَا، ولْيُفَجِّر لنا فيها أَنْهَاراً كأنهارِ الشَّامِ والعِرَاقِ، ولْيَبْعَثْ لَنَا مَنْ مَضَىٰ مِنْ آبائنا، وليكن فِيمَنْ يَبْعَثُ لنا منهم قُصَيّ بن كلاب، فإنه كَانَ شَيْخَ صِدْقٍ، فنسألهم عما تَقُولُ، أَحَقٌّ هو أم باطلٌ: فَإِنْ صَدَقُوكَ وصنعتَ ما سألتك صَدَّقْنَاكَ وَعَرَفْنَا به مَنْزِلَتَكَ مِنَ الله، وأنه بَعَثَكَ رَسُولاً كما تقولُ؛ فقال لهم ـ صلواتُ الله وسلامُهُ عليه ـ: «مَا بِهَذَا بُعِثْتُ إِلَيْكُمْ، إِنَّمَا جِئْتُكُمْ مِنَ اللهِ بِمَا بَعَثَنِي بِهِ، وَقَدْ بَلَّغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ، فَإِنْ تَقْبَلُوهُ، فَهُوَ حَظُّكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَإِنْ تَرُدُّوهُ عَلَيَّ أَصْبِرْ لأَمْرِ اللهِ ـ تَعَالَى ـ حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ» قالوا: فَإِذَا لم تَفْعَلْ هذا لنا فَخُذْ لِنَفْسِكَ، سَلْ رَبَّكَ أَنْ يَبْعَثَ معك مَلَكاً

---

(١) العَنَتُ: ما يَشُقُّ على الإنسان فعله، وقد يكون العنت: الهلاك، وقد يكون العنت: الزنا في قوله تعالى: ﴿لِمَنْ خَشِيَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٢٥]. قاله بعض المفسرين، وقد يكون في الآية بمعنى الهلاك لأنه إذا وقع في الزنا فقد هلك.

يُصَدِّقُكَ بما تَقُولُ ويراجعنا عنك، وسَلْه فَلْيَجْعَلْ لك جِنَاناً وَقُصُوراً وكنوزاً من ذَهَب وفضَّةٍ يُغْنِيكَ بها عَمَّا نراك تَبْتَغِي، فإنك تَقُومُ بالأسواقِ كما نقومُ، وَتَلْتَمِسُ المَعَاشَ كما نَلْتَمِسُهُ؛ حتى نعرفَ فَضْلَكَ ومنزلتك من ربك إن كُنْتَ رسولاً كما تزعم، فقال لهم رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ «مَا أَنَا بِفَاعِلٍ، وَمَا أَنَا بِالَّذِي يَسْأَلُ رَبَّهُ هٰذَا، وَمَا بُعِثْتُ إِلَيْكُمْ بِهٰذَا وَلٰكِنَّ اللهَ بَعَثَنِي بَشِيراً وَنَذِيراً» أو كما قال «فَإِنْ تَقْبَلُوا مَا جِئْتُكُمْ بِهِ فَهُوَ حَظُّكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وإِنْ تَرُدُّوهُ عَلَيَّ أَصْبِرْ لأَمْرِ اللهِ حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ» قَالُوا: فأسْقِط السَّمَاءَ عَلَيْنَا كِسَفاً كما زَعَمْتَ أَنَّ رَبَّكَ لَوْ شَاءَ فَعَلَ؛ فإنا لا نُؤْمِنُ لك إلاَّ أَنْ تَفْعَلَ، قال: فَقال ـ رَسُولُ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: «ذٰلِكَ إلى اللهِ إنْ شَاءَ أنْ يَفْعَلَهُ بكُمْ فَعَلَ» قالوا: يا محمد، أَفَمَا عَلِمَ رَبُّكَ أنا سَنَجْلِسُ مَعَكَ وَنَسأَلُكَ عَمَّا سألناك عنه وَنَطْلُبُ مِنْكَ ما نَطْلُبُ فيتقدمُ إِلَيكَ فيعلمك مَا تراجعنا به وَيُخْبِرُكَ ما هو صَانِعٌ في ذلك بنا إذا لم نَقْبَلْ منك ما جِئْتَنَا به؟ إِنَّهُ قد بَلَغَنَا أنك إنما يُعَلِّمُكَ هذا رجلٌ باليمامة يُقَالُ له الرحمن؛ وإنَّا والله (٥٥/ أ) لا نُؤْمِنُ بالرحمن أبداً، فَقَدْ أَعْذَرْنَا إِلَيْكَ يا محمد، وَإِنَّا واللهِ، لا نَتْرُكُكَ وَمَا بَلَغْتَ منا حتى نُهلِكَكَ أَو تُهْلِكَنَا، وقال قائلهم: نحن نعبدُ الملائكةِ، وهي بناتُ اللهِ، وقال قائلهم: لَنْ نُؤمِنَ لك حتى تَأْتِيَنَا بالله والملائكة قبيلاً.

عبد الله بن أبي أمية ورسول الله

فَلَمَّا قَالُوا ذلك لِرَسُولِ (اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قام عنهم، وقام معه عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عُمَر بن مخزوم، وهو ابن عمته؛ فهو لِعَاتِكَةِ بِنتِ عبد المطلب، فقال له: يا محمد، عَرَض عليك قَومُكَ ما عَرَضُوا فَلَم تَقْبَلْهُ منهم، ثم سَأَلُوك لِأَنْفُسِهِمْ أموراً لِيَعْرِفُوا بها منزلتك مِنَ الله كما تَقُولُ ويصدقوك وَيَتَّبِعُوكَ فَلَمْ تَفْعَلْ، ثم سَأَلُوكَ أَنْ تأْخُذ لِنَفْسِكَ مَا يَعْرِفُونَ بِه فَضْلَكَ عليهم وَمَنْزِلَتَكَ مِنَ الله، فلم تَفْعَلْ، ثم سَأَلُوكَ أَنْ تَعْجَلَ لهم بَعْضَ ما تخوّفُهم به مِنَ العَذَابِ، فَلَمْ تَفْعَلْ، أو كما قال له؛ فوالله، لا أؤمن بك أبداً حتى تَتَّخذ إلى السَّماء سُلَّماً ثم تَرْقَىٰ فيه، وَأَنَا أَنْظُرُ إليك حتى تَأْتِيَها، ثم تأْتي معَك أربعةٌ مِنَ الملائكةِ يَشْهَدُونَ لك أَنَّك كما تَقُولُ، وأيم الله، أنْ لَوْ فعلتَ ذَلِكَ ما ظَنَنْتُ أني أُصَدِّقُكَ، ثم انْصَرَفَ عن رَسُولِ اللهِ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وانْصَرَفَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إلى أَهْلِهِ حزِيناً آسفاً[1] مما فَاتَهُ، مما كان يَطْمَعُ به مِنْ قَوْمِهِ حين دَعَوْهُ، ولِمَا رأى مِنْ مُبَاعَدَتِهِمْ إياه.

---

(١) الأسفُ: الغضبان. الشديد الغضب.

فَلَمَّا قَامَ عنهم رَسُولُ اللهِ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قال أبو جهل لَعَنَهُ الله: يا معشر قُرَيْش، إنَّ محمداً قد أَبَى إلاَّ ما تَرَوْنَ مِنْ عَيْبِ دِينِنَا وَشَتْم آبائنا وَتَسْفِيهِ أحلاَمِنَا وَشَتْم آلهتنا، وإنِّي أُعَاهِدُ الله لأَجْلِسَنَّ له غداً بحَجَر ما أطيقُ حَمْلَهُ، أو كما قال: فإذا سَجَدَ في صلاتِهِ فَضَخْتُ به رَأْسَهُ، فأسْلِمُوني عند ذلك أو امْنَعُونِي؛ فَلْيَصْنَعْ بعد ذلك بنو عبد مناف ما بَدَا لهم، قالوا: والله مَا نُسْلِمُكَ لشيءٍ أبداً، فامْضِ لِمَا تُرِيدُ.

أبو جهل يبيت قتل رسول الله والله يحفظه

فلمَّا أَصْبَحَ أبو جَهْلٍ أَخَذَ حجراً كما وَصَفَ، ثم جَلَسَ لرسولِ اللهِ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَنْتَظِرُهُ، وغَدا رَسُولُ اللهِ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) كما كان يَغْدُو، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بِمَكَّةَ وَقِبْلَتُهُ إلى الشَّام، فَكَانَ إذا صلَّى صلَّى بين الركن اليماني والحجرِ الأسود، وَجَعَلَ الكَعْبَةَ بينه وبين الشَّام، فَقَامَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يُصَلِّي، وقد غَدَتْ قريشٌ، فجلسوا في أنديتهم يَنْتَظِرُونَ ما أبو جهل فَاعِلٌ، فلمَّا سَجَدَ (رَسُولُ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) احْتَمَلَ أبو جهل الحَجَر، ثم أَقْبَلَ نَحْوَهُ، حتى إذا دنا منه رَجَعَ مُنْهَزِماً مُنْتَقِعاً لونُه[1] مَرْعُوباً، قد يَبِسَتْ يَدَاهُ على حَجَره، حَتَّىٰ قَذَفَ الحجر مِنْ يَدِهِ، وَقَامَتْ إليه رِجَالُ قريشٍ، فقالوا له: مالك يا أبا الحكم؟ قال: قمتُ إليه لأَفْعَلَ به ما قُلْتُ لكم البَارِحَةَ، فلمَّا دَنَوْتُ منه عَرَضَ لي دونه فَحْلٌ مِنَ الإبِلِ، لا والله ما رأيتُ مِثْلَ هَامَتِهِ ولا مِثْلَ قَصَرَتِهِ[2] ولا أنيابهِ لَفَحْلٍ قطُّ؛ فَهَمَّ بي أَنْ يَأْكُلَنِي.

قال ابن إسحاق: فذكر لي أَنَّ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قال «ذَلِكَ جِبْرِيلُ عليه السَّلام، لَوْ دَنَا لأَخَذَهُ» [٢١٠].

النضر بن الحرث يذكر لقريش رأيه في النبي ويسفههم لتكذيبه

فلمَّا قال لهم ذلك (٥٥/ب) أبو جهل قَامَ النَّضْر بن الحرث بن كَلَدَة بن عَلْقَمَة بن عَبْد مَنَاف بن عبد الدار بن قصي.

قال ابن هشام: ويقال النضر بن الحرث بن عَلْقَمَة بن كَلَدة بن عبد مناف.

---

[٢١٠] أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ١٩٠ ـ ١٩١) من طريق يونس بن بكير عن ابن إسحاق قال: حدثني شيخ من أهل مصر قديم منذ بضع وأربعين سنة عن عكرمة عن ابن عباس به.

---

(١) مُنْتَقِعاً لونه: أي متغيّراً: يقال: امتقع لون الرجل وانتقع بالميم والنون جميعاً: ومعناهما تغيّر.

(٢) الهامة هنا: الرَّأس، والقَصَرة: أصل العنق، ومنه قول امرىء القيس:

. . . . . وَهَبَّتْهُ فِي السَّاقِ والقَصَرَاتِ

قال ابن إسحاق: فقال: يَا مَعْشَرَ قريش، إنه والله قَدْ نَزَلَ بِكُمْ أَمْرٌ ما أَتَيْتُمْ له بِحِيلَةٍ بعدُ، قَدْ كَانَ محمدٌ فيكم غُلاَماً حَدَثاً أَرْضَاكُمْ فيكم، وأصْدَقَكم حَدِيثاً، وَأَعْظَمُكُم أمانةً، حتى إذا رَأَيْتُمْ في صُدْغَيْهِ الشَّيْبَ وجاءكم بما جَاءَكُمْ به قلتم: سَاحِرٌ، لا والله، ما هُوَ بِسَاحِرٍ، لقد رَأَيْنَا السَّحَرَة وَنَفْثَهُمْ وعَقْدَهم، وقلتم: كَاهِنٌ، لا والله مَا هُوَ بكاهنٍ، قد رَأَيْنَا الكَهنَة وَتَخَالَجُهُمْ، وسمعنا سَجْعَهم، وقلتم: شَاعِرٌ، لا والله، ما هو بِشَاعرٍ، قد رَأَيْنَا الشِّعر وسَمِعْنَا أَصْنَافَهُ كُلّها هَزَجَه ورَجَزه؛ وقلتم: مَجْنُونٌ، لا والله، ما هو بمجنونٍ؛ لقد رأينا الجنونَ فما هو بخَنْقه ولا وَسْوَسته ولا تَخْليطه، يا معشر قريش؛ فَانْظُرُوا في شَأْنِكُمْ؛ فإنه والله، لقد نَزَلَ بكم أَمْرٌ عَظِيمٌ؛

وكان النضر بن الحرث مِنْ شَيَاطِينِ قريش، وممن كان يؤذي رَسُولَ الله (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ويَنْصب له العَدَاوَةَ، وكان قد قَدِمَ الحيرةَ وتعلم بها أحاديثَ ملوكِ الفُرْسِ وأحاديثَ رُسْتم واسفنديار، فكان إذا جَلَس رسولُ اللهِ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مَجْلِساً فَذَكَّرَ فيه بالله وحَذَّر قَوْمَهُ ما أصاب مَنْ قبلهم مِنَ الأُمَم من نِقْمَة الله خَلَفَه في مَجْلِسِه إذا قَامَ، ثم قال: أنا والله يا مَعْشَرَ قريشٍ أَحْسَن حَدِيثاً منه، فَهَلُمَّ إليَّ فأنا أُحَدِّثُكُمْ أحسن من حَدِيثِهِ، ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورستم واسفنديار[1]، ثم يقول: بماذا محمد أحسن حديثاً مني.

قال ابن هشام: وَهُوَ الذي قَالَ فيما بلغني: سَأُنْزِلُ مثل ما أَنْزَلَ الله.

قال ابن إسحاق: وكان ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ يقولُ فيما بلغني: نَزَلَ فيه ثمان آيات من القرآنِ: قول الله ـ عزَّ وجلَّ ـ: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾﴾ [القلم: ١٥] وكل ما ذكر فيه من الأساطير من القرآن.

قريش ترسل النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط إلى يهود المدينة يسألانهم عن النبي

فَلَمَّا قال لهم ذلك النضر بن الحرث بَعَثُوهُ وَبَعَثُوا معه عُقْبَةَ بن أبي مُعَيْط إلى أَحْبَارِ يَهُودِ بالمدينةِ، وقالوا لهما: سَلاَهُمْ عن محمد، وصِفَا لَهُمْ صفته، وأخبراهم بقولِهِ، فإنهم أَهْلُ الكتابِ الأولِ، وعندهم علم ليس عندنا مِنْ عِلْمِ الأنبياءِ، فَخَرَجَا حتى قَدِمَا المدينة، فسألا أحبار يهودِ عَنْ رَسُولِ الله (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وَوَصَفَا لهم أَمْرَهُ، وَأَخْبَرَاهُمْ ببعضِ قَوْلِهِ، وقالا لهم: إِنَّكم أهلُ التَّوْراة، وقد جِئْنَاكم لتخبرونا عن صَاحِبِنَا هذا، فقالت

(١) هما حكيمان من حكماء الفرس.

لهما أحبارُ يهودِ: سَلُوه عَنْ ثَلاَثٍ نَأْمُرُكُمْ بِهِنَّ؛ فإن أخبركم بهنَّ، فهو نبيٌّ مُرْسَلٌ، وإن لم يَفْعَلْ، فالرَّجُلُ مُتَقَوِّلٌ، فَرَوْا فيه رأيكم: سَلُوهُ عن فِتْيَةٍ ذَهَبُوا في الدَّهْرِ الأَوَّلِ، مَا كَانَ أَمْرُهُمْ؟ فإنه قد كان لهم حديثٌ عجيبٌ، وَسَلُوهُ عَنْ رَجُلٍ طَوَّافٍ قد بَلَغَ مَشَارِقَ الأرضِ وَمَغَارِبَهَا، ما كان نَبَؤُه؟ وَسَلُوه عَنِ الروحِ ما هِيَ؟ فإنْ أخبركم بذلك، فَاتَّبِعُوهُ فإنه نبيٌّ، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ فهو رَجُلٌ مُتَقَوِّلٌ، فاصنعوا في أَمْرِهِ مَا بَدا لكم.

النضر وصاحبه يعودان إلى قريش فيذكران لهم حديث الأحبار

فأقبل النضرُ بْنُ الحرث وعُقْبة بن أبي مُعَيْط بن أبي عَمْرو بن أُمَيَّة بن عَبْد شمس بن عَبْد مَنَاف بن قصي (٥٦/ أ)، حتى قدما مكَّةَ على قريشٍ، فقالا: يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، قد جئناكم بفَصْلِ ما بينكم وبين مُحَمَّدٍ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، قد أَخْبَرَنا أحبارُ يهودِ أَنْ نَسْأَلَهُ عن أشياء أَمَرُونا بها: فَإِنْ أخبركم عنها فهو نبيٌّ، وَإِنْ لم يَفْعَلْ، فالرَّجُلُ مُتقَوِّلٌ، فَرَوْا فيه رأيكم.

قريش تسأل النبي عما أوعز به أحبار يهود

فجاءوا رَسُولَ اللهِ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فقالوا: يا محمد، حدثنا عَنْ فِتْيَةٍ ذَهَبُوا في الدَّهْرِ الأَوَّلِ قد كَانَتْ لهم قصةٌ عَجَبٌ، وَعَنْ رَجُلٍ كَانَ طَوَّافاً قد بَلَغَ مَشَارِقَ الأرضِ وَمَغَارِبَهَا، وَأَخْبِرْنَا عن الروحِ ما هِيَ؟ قال: فقال لهم رَسُولُ الله (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): «أُخْبِرُكُمْ بِمَا سَأَلْتُمْ عَنْهُ غَداً» ولم يَسْتَثْنِ، فَانْصَرَفُوا عنه، فَمَكَثَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ـ فيما يذكرون ـ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً لا يحدِث الله إليه في ذلك وَحْياً ولا يأتيه جِبْرِيلُ، حتى أَرْجَفَ أَهْلُ مَكَّةَ، وقالوا: وعدَنا محمدٌ غداً واليوم خمس عشرة ليلةً قد أصبحنا منها لا يخبرنا بِشَيْءٍ مما سَأَلْنَاهُ عنه، وحتَّى أَحْزَنَ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مُكْثُ الوَحْي عنه، وَشَقَّ عليه مَا يَتَكَلَّمُ به أَهْلُ مَكَّةَ، ثم جاءه جبريلُ مِنَ اللهِ ـ عزَّ وجلَّ ـ بسورةِ أصحابِ الكهفِ: فيها معاتبته إِيَّاه عَلَىٰ حُزْنِهِ عليهم، وَخَبَرُ ما سألوه عنه مِنْ أَمْرِ الفتيةِ والرَّجُلِ الطَّوَّاف والرُّوحِ [٢١١].

خبر أصحاب الكهف

قال ابن إسحاق: فذُكِر لي أَنَّ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قال لجبريلَ حِينَ جاءه: «لَقَدِ ٱحْتَبَسْتَ عَنِّي يَا جِبْرِيلُ حَتَّى سُؤْتُ ظَنًّا» فقال له جبريلُ: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ

---

[٢١١] أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٢٦٩ ـ ٢٧١) من طريق ابن إسحاق قال: حدثني رجل من أهل مكة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس به. وسنده ضعيف لجهالة شيخ ابن إسحاق. قال البيهقي: وحديث ابن مسعود يدل على أن سؤال اليهود عن الروح ونزول الآية فيه كان بالمدينة.

رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾ [مريم: ٦٤] فافتتح السورة تَبَارَكَ وتعالى بِحَمْدِهِ، وذكرِ نُبُوَّةِ رَسُولِهِ، لما أَنْكَرُوا عليه من ذلك، فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الكهف: ١] يعني محمداً ﷺ، إنك رسولٌ مني: أي تحقيق لما سألوا عنه من نبوتك ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجًا ، قَيِّمًا﴾ [الكهف: ١ ـ ٢] أي: معتدلاً لا ٱخْتِلاَفَ فيه ﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ﴾ [الكهف: ٢] أي: عاجلٌ عقوبته في الدنيا وعذاباً أليماً في الآخرة من عند رَبِّك الذي بَعَثَك رَسُولاً ﴿وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾﴾ [الكهف: ٢ ـ ٣] أي: دَارَ الخلدِ لا يَمُوتُونَ فيها، الذين صَدَّقُوكَ بما جئتَ به مما كذبك به غيرُهم وعملوا بما أَمَرْتُهُمْ به مِنَ الأعمالِ ﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾﴾ [الكهف: ٤] يعني قريشاً في قولهم: إنا نَعْبُدُ الملائكة وهي بناتُ الله ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ﴾ [الكهف: ٥] الذين أَعْظَمُوا فراقهم وعَيْبَ دينهم ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ [الكهف: ٥] أي لقولهم: إنَّ الملائكةَ بناتُ الله ﴿إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ [الكهف: ٥ ـ ٦] يا محمد ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: ٦] أي: لحزنه عليهم حين فَاتَهُ ما كان يَرْجُو منهم، أي: لا تَفْعَلْ.

قال ابن هشام: بَاخِعٌ نَفْسَكَ: أي مُهْلِكٌ نَفْسَكَ، فيما حدثني أبو عبيدة؛ قال ذو الرُّمَّة [من الطويل]:

أَلاَ أَيُّهَذَا الْبَاخِعُ الْوَجْدِ نَفْسَهُ ... لِشَيْءٍ نَحَتْهُ عَنْ يَدَيْهِ الْمَقَادِرُ[1]

وهذا البيت في قصيدة له.

وجمعه باخعون وبَخَعة، وتقولُ العرب (٥٦/ب): قد بَخعتُ له نصحي ونفسي، أي: جهدت له.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾﴾ [الكهف: ٧].

قال ابن إسحاق: أي: أيهم أتبع لأمري وأعمل بطاعتي ﴿وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾﴾ [الكهف: ٨] أي: الأرض، وإنَّ ما عليها لَفَانٍ وزائلٍ، وإن المَرْجِعَ إليَّ، فأجزي كُلاًّ بِعَمَلِهِ، فَلاَ تَأْسَ ولا يحزنك ما تَسْمَعَ وَتَرَىٰ فيها.

قال ابن هشام: الصعيد: الأرض، وجمعه: صُعُدٌ؛ قال ذو الرمة يصف ظبياً صغيراً [من البسيط]:

---

(١) ينظر: ديوانه ص٢٥١؛ وشرح المفصل ٢/ ٧؛ ولسان العرب ٨/ ٥ (بخع)؛ والمقاصد النحوية ٤/ ٢١٧؛ وبلا نسبة في أمالي ابن الحاجب ١/ ٤٧٤؛ وشرح الأشموني ٢/ ٤٥٣؛ ولسان العرب ١٥/ ٣١٢ (نحا)؛ والمقتضب ٤/ ٢٥٩.

كَأَنَّهُ بِالضُّحَىٰ تَرْمِي الصَّعِيدَ بِهِ دَبَّابَةٌ فِي عِظَامِ الرَّأْسِ خُرْطُومُ[1]

وهذا البيت في قصيدة له.

والصعيد أيضاً: الطريقُ، وقد جاء في الحديثِ: «إِيَّاكُمْ وَالْقُعُودَ عَلَى الصعُدَاتِ» يريدُ الطريقَ، والْجُرُز: الأرضُ التي لا تُنْبِتُ شيئاً، وجمعها أجراز ويقال: سَنَة جُرُز، وسنون أجراز، وهي التي لاَ يَكُونُ فيها مَطَرٌ وتكون فيها جدوبةٌ ويبسٌ وشِدَّةٌ؛ قال ذو الرمة يَصِفُ إبلاً [من الطويل]:

طَوَى النَّحْزُ وَالأَجْرَازُ مَا فِي بُطُونِهَا فَمَا بَقِيَتْ إِلاَّ الضُّلُوعُ الْجَرَاشِعُ[2]

وهذا البيت في قصيدة له.

قال ابن إسحاق: ثم اسْتَقْبَلَ قصةَ الخبر فيما سألوه عنه من شأن الفتية فقال: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾﴾ [الكهف: ٩] أي: قد كان من آياتي فيما وضعت على العباد من حججي ما هو أعجب من ذلك. قال ابن هشام: والرقيم: الكتاب الذي رقم فيه بخبرهم، وجمعه: رُقُم؛ قال العجاج [من الرجز]:

وَمُسْتَقَرُّ الْمُصْحَفِ الْمُرَقَّمِ

وهذا البيت في أرجوزة له.

قال ابن إسحاق: ثم قال ـ تعالى ـ: ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾ [الكهف: ١٠، ١١، ١٢] ثم قال ـ تعالى ـ: ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ [الكهف: ١٣] أي: بصدق الخبر عنهم ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾﴾ [الكهف: ١٣، ١٤] أي: لم يشركوا بي كما أشركتم بي ما ليس لكم به علم.

قال ابن هشام: والشطط: الْغُلُوُّ ومجاوزةُ الحقّ؛ قال أعشى بني قيس بن ثعلبة [من البسيط]:

---

(١) الدَّبَّابَةُ: الخمر، والخُرطوم أيضاً: من أسمائها. وينظر: ديوانه (ص: ٥٧١)، وتهذيب اللغة (١٣/ ٣٥٨)، وأساس البلاغة (لطم).

(٢) النَّحز: هو النخس والدَّق، والأجراز: قد فسرها ابن هشام، والجراشع: المنتفخة المتسعة. ويروى البيت هكذا: ـ

طَوى النحز والأجراز ما في غروضها فما بقيت إلا الصدور الجراشع

ينظر: ديوانه ص ٣٤١؛ وتخليص الشواهد ص ٤٨٢؛ وتذكرة النحاة ص ١١٣؛ وشرح المفصل ٢/ ٨٧؛ والمحتسب ٢/ ٢٠٧؛ والمقاصد النحوية ٢/ ٤٧٧؛ وبلا نسبة في شرح الأشموني ٢/ ١٧٢؛ وشرح ابن عقيل ص ٢٤٣.

لاَ يَنْتَهُونَ وَلاَ يَنْهَى ذَوِي شَطَطٍ كَالطَّعْنِ يَذْهَبُ فِيهِ الزَّيْتُ والْفُتُلُ[1]

وهذا البيتُ في قصيدةٍ له.

﴿هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ﴾ [الكهف: ١٥] قال ابن إسحاق: أي بحجة بالغة ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ﴾ [الكهف: ١٥، ١٦، ١٧].

قال ابن هشام: تَزَاوَرُ: تميلُ، وهو مِنَ الزَّوْرِ؛ وقال امرؤ القيس بن حُجْر [من الطويل]:

وَإِنِّي زَعِيمٌ إِنْ رَجَعْتُ مُمَلَّكاً بِسَيْرٍ تَرَىٰ مِنْهُ الْفُرَانِقَ أَزْوَرَا[2]

وهذا البيتُ في قصيدةٍ لَهُ.

وقال أبو الزحف الكليبي يَصِفُ بلداً [من الرجز]:

جَأْبُ الْمُنَدَّىٰ عَنْ هَوَانَا أَزْوَرُ يُنْضِي الْمَطَايَا خِمْسُهُ الْعَشَنْزَرُ[3]

وهذان البيتان في أرجوزة له.

---

(١) يروى صدر هذا البيت هكذا: ـ

هل تنتهون؟ ولا ينهى ذوي شطط .....

ينظر: ديوانه (ص: ١٣٤).

(٢) الفُرانِقُ: الذي يسير بالكتب على رجليه، وهو الفيج أيضاً، وكلاهما أعجميٌ عرب وأزورا: أي مائلاً.

ويروى صدر هذا البيت هكذا:

وإني أديـن إن رجعـت مملـكاً .....

ينظر: ديوانه (ص: ٦٦)، ولسان العرب (١٠/ ٣٠٧) (فرنق)، (١٣/ ١٠) (أذن)، وديوان الأدب (٢/ ٥٨)، وتاج العروس (فرنق) (أذن).

(٣) الجأْبُ: الغَليظ الجافي، ومن رواه: جدب فهو من الجدوبة بمعنى: القحط، والمُنَدَّى: مرعى الإبل إذا امتنعت عن شرب الماء، وينضي: يهزل، وخمسة: هو أن ترد الإبل الماء عن خمسة أيام، والعشنزر: الشَّديد.

وينظر: لسان العرب ٤/ ٣٨١ (سمهدر)، ٥٧٥ (عشزر)؛ والتنبيه والإيضاح ٢/ ١٣٤؛ وتاج العروس (سمهر)، ١٣/ ٥٩ (عشنزر)؛ وبلا نسبة في لسان العرب ٤/ ٣٣٤ (زور)؛ والمخصص ١٠/ ١١٥؛ وديوان الأدب ٢/ ٨٤؛ وتهذيب اللغة ٦/ ٥٣٧، ١٣/ ٢٤١؛ وجمهرة اللغة ص ١١٨٦، ١١٨٧؛ ومجمل اللغة ٣/ ١٤٢؛ ومقاييس اللغة ٣/ ١٦٣؛ وجمهرة اللغة ص ١١٤٧، ١١٨٦، ١١٨٧.

وتقرضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ، تجاوزهم (٥٧/ أ) وَتَتْرُكُهمُ عَنْ شِمَالِها؛ قال ذو الرمة [من الطويل]:

إِلَىٰ ظُعُنٍ يَقْرِضْنَ أَقْوَازَ مُشْرِفٍ شِمَالاً وَعَنْ أَيْمَانِهِنَّ الْفَوَارِسُ[1]

وهذا البيت في قصيدة له.

والفجوة: السَّعةُ، وَجَمْعُهَا الفِجاءُ؛ قال الشاعر [من البسيط]:

أَلْبَسْتَ قَوْمَكَ مَخْزَاةً وَمَنْقَصَةً حَتَّىٰ أُبِيحُوا وَخَلَّوْا فَجْوَةَ الدَّارِ[2]

﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الكهف: ١٧] أي: في الحجةِ عَلَىٰ مَنْ عَرَفَ ذلك من أمورهم مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، ممن أَمَرَ هؤلاءِ بِمَسْأَلَتِكَ عنهم، في صِدْقِ نبوَّتِكَ بتحقيقِ الخبرِ عنهم ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ﴾ [الكهف: ١٧، ١٨].

قال ابن هشام: الوصيد: الباب، قال العبسي (واسمه عُبَيْد بن وهب) [من الطويل]:

بِأَرْضٍ فَلَاةٍ لاَ يُسَدُّ وَصِيدُهَا عَلَيَّ وَمَعْرُوفِي بِهَا غَيْرُ مُنْكَرِ[3]

وهذا البيت في أبيات له.

والوصيدُ أيضاً: الفناءُ، وَجَمْعُهُ وَصَائد ووصُدٌ ووُصْدَان، وأُصُد وأُصْدَان.

﴿لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ [الكهف: ١٨] إلى قوله: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ﴾ [الكهف: ٢١] أهلُ السلطانِ والملكِ منهم ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ﴾ [الكهف: ٢١ ـ ٢٢] يعني: أَخْبَارَ يهودِ الذين أَمَرُوهُمْ بالمسألةِ عنهم ﴿ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ﴾ [الكهف: ٢٢] أي: لا عِلْمَ

---

(١) الظُّعُنُ: الإبل التي عليها الهوادج، وأقوازٌ: جمع قوزٍ، وهو الجبل من الرَّمل، ومن قال: أجواز فهو جمع جوز، وجوز كل شيء: وسطه، ومشرف: موضعٌ، والفوارسُ هنا: رمالٌ بعينها.
وينظر: ديوانه ص ٣١٣؛ ولسان العرب ٥/ ٣٩٩ (قوز)، ٦/ ١٦٣ (فرس)، ٦٧/ ٢١٩ (قرض)؛ وكتاب العين ٥/ ٥٠؛ وتهذيب اللغة ٨/ ٣٤٢؛ وأساس البلاغة (قرض)؛ وتاج العروس ١٥/ ٢٩١ (قوز)، ١٦/ ٣٢٥ (فرس)، ١٩/ ١٥ (قرض)، ٢٣/ ٥٠٤ (شرف)؛ وبلا نسبة في المخصص ١٢/ ١١٤؛ وديوان الأدب ٢/ ١٦٨؛ وتهذيب اللغة ٩/ ٢٣٨؛ ولسان العرب ٧/ ٢١٨ (قرض).

(٢) ويروى عجزه هكذا: ـ

..... حتى أبيحوا وخلوا فجوة الدار

ينظر: لسان العرب (فجا).

(٣) ويروى صدره هكذا:

بأرض فضاء لا يسد وحيدها .....

ينظر: تاج العروس (فضل).

لـهـم ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّيٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا﴾ [الكهف: ٢٢] أي: لا تكابرهم ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٢] فإنهم لا علم لهم بهم ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ [الكهف: ٢٣، ٢٤] أي: ولا تقولنَّ لشيءٍ سَأَلُوكَ عنه كما قلتَ في هذا إني مُخْبِرُكُمْ غَداً، واسْتَثْنِ مشيئةَ الله، واذكرْ رَبَّكَ إذا نَسِيتَ، وَقُلْ: عسى أن يهدين ربي لخير مما سألتموني عنه رشداً؛ فإنك لاَ تَدْرِي ما أَنَا صَانِعٌ في ذلك ﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴿٢٥﴾﴾ [الكهف: ٢٥] أي: سيقولون ذلك ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾ [الكهف: ٢٦] أي: لم يخف عليه شيء مما سألوك عنه.

وقال فيما سألوه عنه من أمرِ الرَّجُلِ الطواف: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ [الكهف: ٨٣، ٨٤، ٨٥] حتى انتهى إلى آخرِ قِصَّةِ خَبَرِهِ.

خبر ذي القرنين

وكان مِنْ خَبَرِ ذي القرنين أنه أوتي ما لم يُؤْتَ أحدٌ غَيْره، فمُدَّت له الأسباب حتى انتهى مِنَ البلادِ إلى مَشَارِقِ الأرضِ وَمَغَارِبَهَا، لا يَطَأُ أرضاً إلا سُلِّط على أَهْلِهَا، حتى انتهى مِنَ المشرقِ والمغربِ إلى ما ليس وراءه شيءٌ مِنَ الخلْقِ.

قال ابن إسحاق: حدثني من يسوق الأحاديث عن الأعاجم (٥٧/ب) ـ فيما توارثوا من علمه ـ أَنَّ ذا القرنين كَانَ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ مصر اسمُهُ مَرْزَبان بن مرذبة اليوناني؛ من ولد يونان بن يافث بن نوح [٢١٢].

قال ابن هشام: واسمُهُ الإسكندَرُ، وهو الذي بنى الإسكندرية فَنُسِبَتْ إليه.

قال ابن إسحاق: وقد حدثني ثَوْرُ بن يزيد، عن خالد بن مَعْدان الكَلاَعي، وكان رَجُلاً قد أَدْرَكَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ عن ذي القرنين فقال: «مَلَكٌ مَسَحَ الأَرْضَ مِنْ تَحْتِهَا بالأَسْبَابِ».

وقال خالد: سَمِع عمرُ بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ رَجُلاً يقول: يا ذا القرنين،

---

[٢١٢] أخرجه ابن عبد الحكم في «فتوح مصر» (ص ٣٧ ـ ٣٨) وأبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٤٧٩) رقم (٩٧٥/ ٢٢) كلاهما من طريق ابن إسحاق به وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٢٤٢) وعزاه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

فقال عمر: اللَّهُمَّ غَفراً، ما رَضِيتم أنْ تَسَمَّوْا بالأنبياءِ، حتى تسميتم بالملائكةِ [٢١٣].

قال ابن إسحاق: والله أعْلَمُ أيُّ ذلك كان، أقال ذلك رَسُولُ اللهِ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أم لا؟ فإن كان قاله فالحقُّ ما قال.

وقال ـ تعالى ـ فيما سألوه عنه مِنْ أمْرِ الرُّوحِ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء: ٨٥].

قال ابن إسحاق: وحدثت عن ابن عباس أنه قال: لما قَدِمَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) المدينةَ قَالَتْ أحبارُ يهودٍ: يا محمد، أَرَأَيْتَ قولَكَ ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ إيانا تُرِيدُ أم قَوْمَكَ؟ قال: كُلاً، قالوا: فإنك تتلُوا فيما جَاءَكَ أنا قد أُوتينا التوراةَ فيها بَيَانُ كُلِّ شَيْءٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): «إنَّهَا فِي عِلْمِ اللهِ قَلِيلٌ وَعِنْدَكُمْ في ذلِكَ مَا يَكْفِيكُمْ لَوْ أَقَمْتُمُوهُ» قال: فَأَنْزَلَ الله ـ تعالى ـ عليه فيما سألوه عنه من ذلك: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَـٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَـٰتُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ [لقمان: ٢٧] أي: إنَّ التوراةَ في هذا مِن عِلْمِ الله قليلٌ.

قال: وأنزل الله ـ تعالى ـ عليه فيما سأله قَوْمُهُ لأنفسِهِمْ مِنْ تَسييرِ الجِبَالِ وتقطيعِ الأرضِ وبَعْثِ مَنْ مَضَىٰ مِنْ آبائهم من الموتى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ [الرعد: ٣١] أي: لا أَصْنَعُ من ذلك إلاَّ ما شئت.

وأنْزَلَ عليه في قولهم: خُذْ لِنَفْسِكَ، ما سألوه أنْ يَأْخُذَ لِنَفْسِهِ أن يَجْعَلَ له جناناً وقصوراً وكنوزاً ويبعث معه مَلَكاً يُصَدِّقُهُ بما يقول ويرد عنه: ﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَـٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّـٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ﴾ [الفرقان: ٧، ٨، ٩، ١٠] أي: من أن تَمْشِي في الأسواقِ وتلتمس المَعَاشَ ﴿جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا﴾ [الفرقان: ٩، ١٠].

وَأَنْزَلَ عليه في ذلك مِنْ قَوْلِهِمْ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾﴾

---

[٢١٣] إسناده ضعيف لإرساله. خالد بن معدان عن النبي ﷺ مرسل وأخرجه أبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٤٧٩ ـ ١٤٨٠) رقم (٩٧٦/ ٢٣) وابن عبد الحكم في «فتوح مصر» (ص ٣٨) كلاهما من طريق ابن إسحاق به. وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٢٤١) وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.

[الفرقان: ٢٠] أي: جعلت بعضَكُمْ لبعضٍ بلاء لِتَصبِرُوا، ولو شِئْتُ أَنْ أَجْعَلَ (٥٨/أ) الدنيا مَعَ رُسُلي فلا يُخَالَفُوا؛ لفعلتُ.

وأنزل الله عليه فيما قال عبد الله بن أبي أمية: ﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ [الإسراء: ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣] [٢١٤].

قال ابن هشام: الينبوعُ: ما نَبَعَ مِنَ الماءِ مِنَ الأَرضِ وغيرِها، وجمعُهُ: يَنَابِيعُ؛ قال ابن هَرْمَةَ (واسمه إبراهيم بن عبد الله الفهري) [من الكامل]:

وَإِذَا هَرَقْتَ بِكُلِّ دَارٍ عَبْرَةً ... نُزِفَ الشُّئُونُ وَدَمْعُكَ الْيَنْبُوعُ[1]

وهذا البيت في قصيدة له.

والكِسَفُ: القطعُ مِنَ العَذَابِ، وواحدته كِسْفَة، مثل سِدْرة وسِدر، وهي أيضاً واحدة: الكِسْف، والقبيلُ: يكون مُقَابلةً ومُعَاينةً، وهو كقوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا﴾ [الكهف: ٥٥] أي: عياناً، وأنشدني أبو عبيدة لأعشَىٰ بني قيس بن ثعلبة [من الطويل]:

أُصَالِحُكُمْ حَتَّىٰ تَبُوءُوا بِمِثْلِهَا ... كَصَرْخَةِ حُبْلَىٰ يَسَّرَتْهَا قَبِيلُهَا[2]

يعني القابلة؛ لأنَّها تُقَابلها وتقبل ولدها، وهذا البيتُ في قصيدةٍ له.

---

[٢١٤] إسناد ضعيف للإنقطاع بين ابن إسحاق وابن عباس وأخرجه موصولاً الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥١) من طريق ابن إسحاق قال: حدثني رجل من أهل مكة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس به. وإسناده ضعيف أيضاً لجهالة شيخ ابن إسحاق. وقد وقع تسمية شيخ ابن إسحاق في رواية عند ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٤٥١) عن ابن إسحاق قال: حدثني محمد بن أبي محمد عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس.
ومحمد بن أبي محمد هو مولى زيد بن ثابت روي عن سعيد بن جبير وعكرمة مولى ابن عباس. وتفرد عنه محمد بن إسحاق. قال الذهبي في «الميزان» (٦/ ٣٢١): لا يعرف. وقال الحافظ في «التقريب» (٢/ ٢٠٥) مجهول.

---

(١) نَزَفَ، معناه: ذهب دمعها، والشئون: مجاري الدموع.

(٢) أُصَالِحُكُم حتى تبوؤا بمثلها، أي: حتى ترجعوا وقد نالكم مثلها، والصَّرخة: الصيحة. ويروى عجزه هكذا: ـ

... كَصرخة حبلى يَسَّرَتْهَا قبولها

ينظر: ديوانه ص: ١٥٩.

وَيُقَالُ: القبيلُ جمعُهُ قُبُل، وهي الجماعاتُ، وفي كتابِ الله تعالى: ﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا﴾ [الأنعام: ١١١] فقبل: جمع قبيل، مثل سُبُل جمع سبيل، وسُرُر جمع سرير، وقُمُص جمع قميص، والقبيل أيضاً في مثل من الأمثال، وهو قولهم: «ما يعرف قبيلاً من دَبِير» أي: لا يعرف ما أقبل مما أدبر؛ قال الكُمَيْتُ بن زيد [من الوافر]:

تَفَرَّقَتِ الأُمُورُ بِوِجْهَتَيْهِمْ ... فَمَا عَرَفُوا الدَّبِيرَ مِنَ الْقَبِيلِ

وهذا البيت في قصيدة له.

ويقال: إنما أريدُ بهذا الفتل؛ فما فتل إلى الذراعِ فهو القَبيل، وما فُتِل إلى أطرافِ الأصابع فهو الدبيرُ، وهو من الإقبال والإدبار الذي ذكرت، وَيُقَالُ: فتل المغزَل: فإذا فتل إلى الركبةِ فهو القبيلُ، وإذا فتل إلى الوركِ فَهُوَ الدبيرُ، والقبيلُ أيضاً: قومُ الرجلِ، والزُّخْرُف: الذهبُ، والمُزَخْرَفُ: المزيَّنُ بالذَّهَبِ؛ قال الْعَجَّاج [من الرجز]:

مِنْ طَلَلٍ أَمْسَى تَخَالُ الْمُضْحَفَا ... رُسُومَهُ وَالْمُذْهَبَ الْمُزَخْرَفَا[1]

وهذان البيتان في أرجوزة له.

ويقال أيضاً لكل مزين: مزخرف.

قال ابن إسحاق: وَأُنْزِلَ عليه في قَوْلِهم: إنَّا قد بلغنا أَنَّك إنما يُعَلِّمك رَجُلٌ باليمامةِ يُقَال له الرحمنُ، ولن نؤمن به أبَدَاً: ﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾﴾ [الرعد: ٣٠] [٢١٥].

وأنزل عليه فيما قال أبو جهل بن هشام لعنه الله وما هَمَّ به: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾ [العلق: ٩ ـ ١٩]قال (٥٨/ب) ابن هشام: لَنَسْفَعاً: لَنَجْذِبَنَ ولنأخذَنْ؛ قال الشاعر [من الكامل]:

قَوْمٌ إِذَا سَمِعُوا الصُّرَاخَ رَأَيْتَهُمْ ... مِنْ بَيْنِ مُلْجِمِ مُهْرِهِ أَوْ سَافِعِ[2]

---

[٢١٥]أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٥/ ١٢١) عن عكرمة مرسلاً بنحوه.

---

(١) ينظر: ديوانه (٢/ ٢١٩، ٢٢٠)، وتاج العروس (٢٣/ ٣٨٠) (زخف).

(٢) الصُّراخ هنا: الاستغاثة، والساقع: الآخذ بالناصية. والبيت لعمرو بن معد يكرب في ديوانه ص ١٤٥؛ ولحميد بن ثور في ديوانه ص ١١١؛ وشرح التصريح ٢/١٤٦؛ وشرح شواهد المغني ١/ =

والنادي: المجلسُ الذي يَجْتَمِعُ فيه القومُ ويقضُون فيه أمورَهُمْ، وفي كتاب الله ـ تعالى ـ: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ﴾ [العنكبوت: ٢٩]، وهو النَّدِيُّ؛.

قال عَبيدُ بن الأبْرص [من البسيط]:

إذْهَبْ إلَيْكَ فَإنِّي مِنْ بَنِي أَسَدٍ أَهْلِ النَّدِيِّ وَأَهْلِ الْجُرْدِ وَالنَّادِي[1].

وفي كتاب الله ـ تعالى ـ: ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ [مريم: ٧٣] وَجَمْعُهُ أندية، يَقُولُ: فلْيَدْعُ أَهلَ نَادِيَه، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿وَسْئَلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢] يريدُ أَهْلَ القرية؛ قال سَلامة بن جَنْدل أحد بني سعد بن زيد مَنَاةَ بن تميم [من البسيط]:

يَوْمَانِ: يَوْمُ مُقَامَاتٍ وَأَنْدِيَةٍ وَيَوْمُ سَيْرٍ إِلَى الأَعْدَاءِ تَأْوِيبِ[2]

وهذا البيت في قصيدة له.

وقال الكُمَيْتُ بن زيد [من الخفيف]:

لاَ مَهَاذِيرَ فِي النَّدِيِّ مَكَاثِيـ ـرَ وَلاَ مُضْمِتِينَ بِالإِفْحَامِ[3]

وهذا البيت في قصيدة له.

ويقال: النادي: الجلساءُ، والزبانيةُ: الغلاظُ الشِّدَادُ، وهم في هذا الموضع خزنةُ النارِ، والزبانيةُ أيضاً في الدنيا: أعوانُ الرَّجُلِ الذين يخدمونه ويعينونه، والواحدُ زِبْنِيَةٌ؛ قال ابن الزِّبَعْرَى في ذلك [من الطويل]:

= ٢٠٠؛ والمقاصد النحوية ٤/ ١٤٦؛ وبلا نسبة في الأشباه والنظائر ٨/ ٢١٨؛ وأوضح المسالك ٣/ ٣٧٩؛ وشرح الأشموني ٢/ ٤٢٤؛ وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص ٢٩؛ وشرح عمدة الحافظ ص ٦٢٨؛ ولسان العرب ٨/ ١٥٨ (سفع)؛ ومغني اللبيب ١/ ٦٣.

(١) الجُرْدُ: الخيل العتاق وهي القصيرات الشعر أيضاً، وقيل هي التي تنجرد في الحلبة عن الخيل أي: تقدمها وتسبقها.
ويروى عجزه هكذا: ـ
..... أهل القباب، وأهل الخيل والنادي
ينظر: ديوانه ص ٦٣، وخزانة الأدب ١١/ ٢٥٧، وشرح المفصل ٤/ ٣٣.

(٢) التأويبُ: سير النهار كله.
وينظر: ديوانه ص ٩٢؛ وخزانة الأدب ٤/ ٢٧؛ وسر صناعة الإعراب ٦٢١؛ وشرح اختيارات المفضل ٢/ ٥٧٠؛ ولسان العرب ١/ ٢٢٠ (أوب)؛ والمقاصد النحوية ٢/ ٣٢٦؛ وبلا نسبة في المقتضب ٣/ ٨٢.

(٣) المهاذير: جمع مِهْذَارٍ وهو الكثير الكلام في غير فائدة، والإفحام: انقطاع الرجل عن الكلام إما عيًّا وإما غلبة.

مَطَاعِيمُ فِي الْمَقْرَىٰ مَطَاعِينُ فِي الْوَغَىٰ زَبَانِيَةٌ غُلْبٌ عِظَامٌ حُلُومُهَا[1]

يقول: شِدَاد، وهذا البيت في أبيات له.

وقال صَخْرُ بن عبد الله الْهُذَلِيُّ، وهو صخر الْغَيِّ [من الرجز]:

وَمِنْ كَبِيرٍ نَفَرٌ زَبَانِيَهْ[2]

وهذا البيت في أبيات له.

قال ابن إسحاق: وَأَنْزَلَ الله ـ تعالى ـ عليه فيما عَرَضُوا عليه مِنْ أَمْوَالِهِمْ: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [سبا: ٤٧].

إنما كفر قريش عناداً وبغياً

فلما جاءهم رَسُولُ اللهِ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بما عَرَفُوا مِنَ الحقِّ، وعرفوا صِدْقَهُ فيما حَدَّثَ، وَمَوْقِعَ نُبُوَّتِهِ فيما جاءهم به مِنْ علم الغيوب ـ حين سألوه عما سألوا عنه ـ حالَ الحسدُ منهم له بينهم وبين اتِّباعه وتصديقه، فَعَتَوْا على الله، وَتَرَكُوا أَمْرَهُ عياناً، وَلَجُّوا فيما هم عليه مِنَ الْكُفْرِ، فقال قائلُهم: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦] أي: اجْعَلُوه لَغْواً وباطلاً، واتخذُوهُ هُزُواً لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَهُ بذلك، فإنكم إنْ ناظرتُمُوهُ أو خَاصَمْتُوهُ يوماً، غَلَبَكُمْ.

مقالة لأبي جهل وما نزل فيها من القرآن

فقال أبو جهل يَوْماً وهو يَهْزَأُ بِرَسُولِ اللهِ)صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وما جاء به من الحق: يا معشر قريش، يَزْعَمُ محمدٌ أَنَّ جنودَ الله الذين يُعَذِّبُونَكُمْ في النارِ وَيَحْبِسُونَكُم فيها تِسْعَةُ عشرٍ، وأنتم أَكْثَرُ الناسِ عدداً وكثرةً؛ فيعجز كلُّ مائةِ رَجُلٍ مِنْكُمْ عَنْ رَجُلٍ منهم، فأَنْزَلَ الله ـ تعالى ـ عليه في ذلك مِنْ قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [المدثر: ٣١] إلى آخر القصة.

فلما قال ذلك بعضُهم لبعضٍ جَعَلُوا إذا جَهَرَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بالقرآن

---

(١) مطاعيم في المقرى: هو من القِرى، وهو الطعام الذي يصنع للضيف. والوَغَى: الحرب، والغُلْبُ: الغلاظ الشداد.

(٢) كبير هنا: اسم قبيلة من هذيل.
وينظر: الروض الأنف (٢/ ٦٥).
وبعده:

لو أن أصحابي بنو معاوية ما تركوني للذئاب العادية
ولا لِبَزْذَونٍ أغرَّ الناصية

وهو يُصَلِّي يَتَفَرَّقُون عنه، ويأبَوْن أَنْ يَسْتَمِعُوا له، وكان الرجلُ منهم إذا أراد أن يَسْتَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللهِ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بعضَ ما يتلو من القرآن وَهُوَ يُصَلِّي اسْتَرَقَ السَّمْعَ دونهم فَرَقاً منهم؛ فإن رأى أنهم قد عَرَفُوا أنه يَسْتَمِعُ منه ذَهَبَ خَشْيَةَ أَذَاهُمْ، فلم يَسْتَمِعْ، وإن خفض رَسُولُ اللهِ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) صَوْتَهُ فَظَنَّ الذي يَسْتَمِعُ أنهم لا يستمعون شيئاً مِنْ قِرَاءَتِهِ وَسَمِعَ هو شيئاً دونهم أَصَاخَ له يَسْتَمِعُ منه (٥٩/ أ).

قال ابن إسحاق: حدثني داود بن الحصين مولى عمرو بن عثمان، أن عكرمة مولى ابن عباس حدثهم، أن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما حدثهم، إنما أنزلت هذه الآية: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ١١٠] مِنْ أَجْلِ أولئك النفرِ؛ يقولُ: لا تجهر بِصَلاتِكَ فيتفرَّقوا عنك، ولا تُخَافِتْ بها فلا يَسْمَعُهَا مَنْ يحبُّ أَنْ يَسْمَعَهَا ممن يَسْتَرِقُ ذلك دُونَهُمْ لعلَّه يَرْعَوِي إلى بَعْضِ ما يَسْمَعُ فينتفع به [٢١٦].

أول من جهر بالقراءة في مكة من أصحاب النبي

قال ابن إسحاق: وحدثني يحيى بن عروة بن الزبير، عن أبيه، قال: كان أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله ﷺ بمكة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: اجتمع يوماً أصحابُ رسول الله ـ ﷺ ـ، فقالوا: والله ما سَمِعَتْ قريشٌ هذا القرآن يُجْهَرُ لها به قطُّ، فَمَنْ رَجُلٌ يُسْمِعُهُمُوه؟ فقال عبد الله بن مسعود: أنا، قالوا: إنَّا نخشاهم عليك، إنَّما نُرِيدُ رَجُلاً له عشيرةٌ يَمْنَعُونَهُ مِنَ القَوْمِ إنْ أَرَادُوه، قال: دعوني فإن الله سَيَمْنَعُني، قال: فغدا ابنُ مسعودٍ حتى أتى المقام في الضُّحَىٰ، وقريشٌ في أنديتها، حتى قَامَ عند المقام، ثم قرأ (بسم الله الرحمن الرحيم) رافعاً بها صوته: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢﴾ [الرحمٰن: ١، ٢] قال: ثم استقبلها يقرؤها، قال: وَتَأَمَّلُوهُ، فجعلوا يَقُولُون: مَاذَا قال ابن أم عبد؟ قال: ثم

---

[٢١٦] إسناده ضعيف لكن الحديث صحيح كما سيأتي وداود بن الحصين في روايته عن عكرمة شيء قال علي بن المديني: ما روي عن عكرمة فمنكر الحديث وقال أبو داود: أحاديثه عن عكرمة مناكير وأحاديثه عن شيوخه مستقيمة. وقد فصل ابن حبان حاله في «الثقات» فقال: كان يذهب مذهب الشراة وكل من ترك حديثه على الإطلاق وهم لأنه لم يكن داعية إلى مذهبه والدعاة يجب مجانبة رواياتهم على الأحوال فأما من انتحل بدعة فلم يدع إليها وكان متقياً كان جائز الشهادة محتجاً بروايته فإن وجب ترك حديثه وجب ترك حديث عكرمة لأنه كان يرى مذهب الشراة مثله اهـ.
وقال الحافظ في «التقريب»: ثقة إلا في عكرمة ورمى برأي الخوارج. ينظر «تهذيب الكمال» (٨/ ٣٨٠ ـ ٣٨٢) والتقريب (١/ ٢٣١). والحديث من طريق ابن إسحاق أخرجه الطبراني في «الكبير» (١١/ ٢٢٨) رقم (١١٥٧٤) وللحديث طريق آخر عن ابن عباس.
أخرجه البخاري (٤٧٢٢) ومسلم (٤٤٦/ ١٤٥) والترمذي (٣١٤٥، ٣١٤٦) والنسائي (١٠١١، ١٠١٢) كلهم من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس به.

قالوا: إنه ليتلو بَعْضَ مَا جَاءَ به محمدٌ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فَقَامُوا إليه، فجعلوا يَضْرِبُونَ في وَجْهِهِ، وَجَعَلَ يَقْرَأُ حَتى بَلَغَ منها ما شاء الله أَنْ يَبْلُغَ، ثم انْصَرَفَ إلى أصحابِهِ، وَقَدْ أثروا في وَجْهِه، فقالوا له: هذا الذي خَشينا عليك، فقال: ما كان أعداءُ الله أَهْوَن عليَّ منهم الآن، وَلَئِنْ شِئْتُمْ لأغَادِيَنَّهم بمثلها غَداً، قالوا: لا، حَسْبُكَ قد أَسْمَعْتَهُمْ ما يَكْرَهُونَ [٢١٧].

بعض المشركين يخرج ليلاً ليستمع القرآن

قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، أنه حُدِّث، أن أبا سفيان بن حرب وأبا جَهلِ بن هشام والأخنس بن شَرِيق بن عمرو بن وهب الثقفي حليف بني زهرة؛ خَرَجُوا ليلةً لِيَسْتَمِعُوا من رسولِ الله (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وهو يُصَلِّي مِنَ الليلِ في بَيْتِهِ، فَأَخَذَ كُلُّ رَجُلٍ منهم مجلساً يَسْتَمِعُ فيه، وكلٌّ لا يَعْلَمُ بمكانِ صاحِبِهِ، فباتوا يَسْتَمِعُونَ له، حتى إذا طَلَعَ الفَجْرُ تَفَرَّقُوا، فجمعهم الطريقُ، فَتَلاَوَمُوا، وقال بعضُهم لبعضٍ: لا تَعُودُوا فلو رآكم بَعْضُ سفهائكم لأوقعتم في نَفْسِهِ شَيْئاً، ثم انْصَرَفُوا، حتى إذا كانتِ الليلةُ الثانيةُ عَاد كُلُّ رَجُلٍ منهم إلى مَجْلِسِهِ، فباتوا يَسْتَمِعُونَ له، حتى إذا طَلَعَ الفَجْرُ تَفَرَّقُوا، فجمعهم الطريقُ، فقال بعضُهم لبعضٍ مِثْلَ ما قالوا أَوَّل مَرَّةٍ، ثم انْصَرَفُوا، حتى إذا كانتِ الليلةُ الثالثةُ أَخَذَ كُلُّ رَجُلٍ منهم مَجْلِسَهُ، فباتوا يَسْتَمِعُونَ له، حتى إذا طَلَعَ الفَجْر تَفَرَّقُوا، فجمعهم الطريقُ، فقال بعضُهم لبعضٍ: لا نَبْرَحُ حتى نتعاهدَ ألاَّ نعود، فتعاهدوا على ذلك، ثم تفرقوا؛ فَلَمَّا أصبح الأخنسُ بن شَرِيق أَخَذَ عَصَاه ثم خرج حتى أتى أبا سفيان في بيته، فقال: أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سَمِعْتَ من محمدٍ، فقال: يا أبا ثعلبة، والله لقد (٥٩/ب) سمعتَ أشياءَ أَعْرِفُهَا وأعرفُ ما يُرَادُ بها، وسمعتُ أشياءَ ما عرفتُ معناها ولا ما يرادُ بها، قال الأخنس: وأنا والذي حلفتَ به كذلك، قال: ثم خَرَجَ مِنْ عِنْدِه حتى أتى أبا جهل فَدَخَلَ عليه بيته، فقال: يا أبا الحكم، ما رأيك فيما سمعتَ من محمدٍ؟ فقال: ما سمعتُ؟ تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف: أَطْعَمُوا فَأَطْعَمْنا، وحملوا فحملنا، وأعطَوْا فأعطَيْنَا، حتى إذا تَجَاذَيْنَا على الركبِ وكنا كفَرَسَيْ رِهان قالوا:

---

[٢١٧] إسناده صحيح. وتقدم الكلام على هذا الإسناد. وأخرجه الطبري في «تاريخه» (٢/ ٣٣٤ ـ ٣٣٥) من طريق ابن إسحاق. وذكره الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١/ ٤٦٦) من طريق ابن إسحاق. وذكره أيضاً ابن حجر في «الإصابة» (٤/ ١٩٩) من طريق ابن إسحاق.
وله شاهد أخرجه الطبراني في «الكبير» (٩/ ٢٢١) رقم (٨٩٦١) عن القاسم قال: أول من أفشى القرآن من فيِّ رسول الله ﷺ عبد الله بن مسعود وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ١٣) وقال: وإسناده منقطع.

مِنَّا نبيٌّ يأتيه الوحيُ مِنَ السماءِ، فمتى نُدْرِك مثلَ هذه؟ والله لا نؤمن به أبداً، ولا نصدِّقُهُ، قال: فَقَامَ عنه الأخنس وَتَرَكَهُ [٢١٨].

قال ابن إسحاق: وكان رَسُولُ اللهِ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إذا تَلاَ عليهم القرآن وَدَعَاهُمْ إلى اللهِ قَالُوا يَهْزَءُونَ به: قلوبُنا في أَكِنَّةٍ مما تَدْعُونَا إليه لا نَفْقَهُ ما تقولُ، وفي آذاننا وَقْرٌ لا نَسْمَعُ ما تَقُولُ، وَمِنْ بيننا وبينك حجابٌ قَدْ حَالَ بيننا وبينك، فَاعْمَلْ بما أنتَ عليه إننا عاملون بما نحن عليه، إنا لا نَفْقَهُ عنك شيئاً، فَأَنْزَلَ الله ـ تعالى ـ عليه في ذلك من قولهم: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾﴾ [الإسراء: ٤٥ ـ ٤٦] إلى قوله: ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِمْ نُفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٦] أي: كيف فَهِمُوا تَوحِيدَكَ رَبُّكَ إنْ كُنْتُ جعلتُ على قلوبهم أكنة وفي آذانِهم وَقْراً وبينك وبينهم حجاباً بزَعْمِهِمْ، أي: إني لم أفعَلْ ذلك، ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّـٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾﴾ [الإسراء: ٤٧] أي: ذلك ما تواصَوْا به من ترك ما بعثتك به إليهم ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾﴾ [الإسراء: ٤٨] أي: أخطؤا المثل الذي ضربوا لك فلا يصيبون به هدى، ولا يعتدل لهم فيه قولٌ ﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الإسراء: ٤٩] أي: قد جئت تخبرنا أنا سنبعث بعد موتنا إذا كنا عظاماً ورفاتاً، وذلك ما لا يكون ﴿۞ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ﴾ [الإسراء: ٥٠، ٥١] أي: الذي خلقكم مما تعرفون ليس خلقكم من تراب بأعزَّ من ذلك عليه.

قال ابن إسحاق: حدثني عبد الله بن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: سألتُهُ عَنْ قَوْلِ الله ـ تعالى ـ: ﴿أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ﴾ [الإسراء: ٥١] [٢١٩] ما الذي أراد الله به؟ فقال: الموتُ.

---

[٢١٨] إسناده مرسل. وأخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/٢٠٦ ـ ٢٠٧) من طريق ابن إسحاق به.

[٢١٩] إسناده حسن. وقد تقدم الكلام على هذا الإسناد. وأخرجه الحاكم (٢/٣٦٢) من طريق ابن إسحاق به. وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٤/١٨٧) وعزاه إلى عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد.